

## كتاب الفضائل

### باب

فضائل سيد الأولين والآخرين محمد صلوات الله

وسلامه عليه وعلى آله أجمعين وشمائله

وهو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، بْنِ هَاشِمٍ، بْنِ عَبْدِ  
مَنَافٍ، بْنِ قُصَيِّ، بْنِ كِلَابٍ، بْنِ مُرَّةَ، بْنِ كَعْبٍ، بْنِ لُؤَيٍّ، بْنِ غَالِبٍ،  
ابْنِ فِهْرٍ، بْنِ مَالِكٍ، بْنِ النَّضْرِ، بْنِ كِنَانَةَ، بْنِ خُزَيْمَةَ، بْنِ مُدْرِكَةَ،  
ابْنِ إِيَّاسَ، بْنِ مُضَرَ، بْنِ نِزَارٍ، بْنِ مَعَدٍّ، بْنِ عَدْنَانَ.

وَلَا يَصِحُّ حِفْظُ النَّسَبِ فَوْقَ عَدْنَانَ. وَقُرَيْشٌ: هُمْ أَوْلَادُ النَّضْرِ بْنِ  
كِنَانَةَ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ، فَجَمَعَهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ فِي مَكَّةَ، سَمُّوا  
قُرَيْشًا، لِأَنَّهُ قَرَشَهُمْ، أَي: جَمَعَهُمْ. وَلِكِنَانَةَ وَلَدٌ سِوَى النَّضْرِ، وَهُمْ  
لَا يُسَمَّوْنَ قُرَيْشًا، وَلِأَنَّهُمْ لَمْ يُقْرَشُوا.

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾  
[الأحزاب: ٤٥]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾  
[الأحزاب: ٤٠]، أَي: خَتَمَهُمْ، فَهُوَ خَاتِمٌ لَهُمْ، وَقُرِئَ خَاتِمٌ بَفَتْحِ  
التَّاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ عَاصِمٌ وَحْدَهُ، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ: أَنَّهُمْ بِهِ  
خَتَمُوا، فَهُوَ كَالْخَاتِمِ وَالطَّابِعِ لَهُمْ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ  
إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، أَي: عَطْفًا وَصُنْعًا.

٣٤٤٨-- عن وائلة بن الأسقع قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ  
أَصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَأَصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا،  
وَأَصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَأَصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

٣٤٤٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ  
بَنِي آدَمَ، قَرْنٍ فَقَرْنٍ، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٥٧).

القرن: كلُّ طبقةٍ مقترنين في وقتٍ، قيل: سمي قرنًا لأنه يقرن أمةً بأمةٍ، وعالمًا  
بعالمٍ، وهو مصدر: قرنتُ، جعل اسمًا للوقت أو لأهله، وقيل القرن: ثمانون  
سنة، وقيل: أربعون، وقيل: مئة سنة.

٣٤٥٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنْ  
الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ  
الَّذِي أُوتِيَهُ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

٣٤٥١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا  
لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي  
الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ،  
وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ  
النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

قوله: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» معناه: أَنَّ العَدُوَّ يَخَافُنِي، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ مَسَافَةٌ شَهْرٍ، وَذَلِكَ مِنْ نَصْرِ اللَّهِ إِيَّاهُ.

وقوله: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا» أراد أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ، مَا أُبِيحَتْ لَهُمُ الصَّلَاةُ إِلَّا فِي بَيْعَتِهِمْ وَكِنَانَتِهِمْ، وَأَبَاحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الصَّلَاةَ حَيْثُ كَانُوا تَخْفِيفًا عَلَيْهِمْ وَتَيْسِيرًا، ثُمَّ خَصَّ مِنْهَا الْمَقْبِرَةَ وَالْحَمَّامَ، وَالْمَكَانَ النَّجِسَ، فَهُوَ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهِ.

وقوله: «وَطَهَّرَهَا» أراد به التراب، كما بينه في حديث حذيفة «جُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبُهَا لَنَا طَهْرًا» أخرجه مسلم (٥٢٢).

وقوله: « وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ » أراد أَنَّ الْأُمَّةَ الْمُتَقَدِّمَةَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ أُبِيحَ لَهُمْ جِهَادُ الْكُفَّارِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَغَانِمٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُبِيحَ لَهُمُ الْجِهَادُ، وَلَكِنْ لَمْ تُبَحَّ لَهُمُ الْغَنَائِمُ، فَكَانَتْ غَنَائِمُهُمْ تَوْضَعُ، فَتَأْتِي نَارًا، فَتَحْرِقُهَا، وَأَبَاحَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

وقوله: «أُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ» فهي الفضيلة العظمى التي لا يُشَارِكُ فِيهَا أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِهَا سَادَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ حَتَّى قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ وَاِلِدِ آدَمَ» أخرجه مسلم (٢٢٧٨). وهو المقام المحوّد الذي أعطاه الله عزَّ وجلَّ.

٣٤٥٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ: أُوتِيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٥٢٣).

قوله: «أوتيتُ جوامع الكلم» قيل: يعني القرآن، جمعَ الله سبحانه وتعالى بلطفه معاني كثيرة في ألفاظٍ يسيرة، وقيل: معناه: إيجاز الكلام في إشباع من المعنى، فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيراً من المعاني، وأنواعاً من الأحكام.

٣٤٥٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَبَيْنَنَا أُنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَتَلَّتْ فِي يَدِي».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٧٢٧٣).

قوله: «أُتِيتُ بِمَفَاتِحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَتَلَّتْ فِي يَدِي» يحتمل أن يكون هذا إشارة إلى ما فُتِحَ لأمته وجنوده من الخزائن، كخزائن كسرى وقیصر، ويحتمل أن يكون المراد منه معادن الأرض التي فيها الذهب والفضة وأنواع الفلز، أي: سُدَّتْ البلدان التي فيها هذه المعادن والخزائن، فتكون لأمته. قال أبو هريرة: ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تتثلونها. أي: تستخرجونها. وقوله: «تَلَّتْ فِي يَدِي» أي: أَلْقَيْتُ فِي يَدِي.

٣٤٥٤- عَنْ هَمَّامِ بْنِ مِنْبِهِ، حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمِثْلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتاً، فَأَحْسَنَهَا، وَأَجْمَلَهَا، وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ، وَيُعْجِبُهُمُ الْبِنْيَانُ، فَيَقُولُونَ: أَلَا وَضِعَتْ هَاهُنَا لَبْنَةٌ، فَتَمَّ بِنَاؤُهُ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ».

أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

٣٤٥٥- عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأَوْلَى وَالْآخِرَةِ» قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ».

هذا حديث متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

قوله: «إخوةٌ من عِلَّاتٍ» ما ذكر في الحديث أنَّ أمهاتهم شتَّى ودينهم واحدٌ، يُقال لأخوة بني أب وأم: بنو الأعيان، فإن كانوا لأمهات شتَّى، فهم بنو العِلَّاتِ، فإن كانوا لأبَاءٍ شتَّى، فهم أخِيافٌ.

يريد: أنَّ أصلَ دين الأنبياء واحد، وإن كانت شرائعهم مختلفة، كما أن أولادَ العِلَّاتِ أبوهم واحد، وإن كانت أمهاتهم شتَّى.

٣٤٥٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ مَرْيَمَ نَبِيٌّ».

انظر الحديث السالف.

وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ قَصْرِ أَحْسَنِ بُنْيَانِهِ، تُرِكَ مِنْهُ مَوْضِعُ لَبْنَةٍ، فَطَافَ بِهَا النَّظَّارُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ حُسْنِ بِنَائِهِ إِلَّا مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبْنَةِ، لَا يَعِيبُونَ سِوَاهَا، فَكُنْتُ أَنَا سَدَدْتُ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبْنَةِ، خُتِمَ بِي الْبُنْيَانُ، وَخُتِمَ بِي الرُّسُلُ».

انظر الحديث التالي.

٣٤٥٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، قَالَ: فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعُجِبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

٣٤٥٨- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي لِتَمَامِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَتَمَامِ مَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ».

حديث صحيح بشواهده وإسناده حديث جابر عند البغوي ضعيف، وله شاهد من حيث أبي هريرة عند أحمد (٨٩٥٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣) وغيرهما وسنده قوي وانظر تمام تخريجه في «المسند».

٣٤٥٩- وَذَكَرَ مَالِكٌ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

هو في «الموطأ» ٢/٦٩٠، قال ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٤/٣٣٣: وهذا الحديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره.

٣٤٦٠- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَهُمْ خُرُوجًا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا مُسْتَشْفِعُهُمْ إِذَا حُسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيْسُوا الْكِرَامَةَ، وَالْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي، يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ، كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ، أَوْ لَوْلُؤُ مَنُورٌ».

هذا حديث غريبٌ ضعيفُ الإسنادِ أخرجه الترمذي (٣٦١٠) وآفتهُ ليث بن أبي سُلَيمٍ.

٣٤٦١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دَوَّنَهُ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَحْرُكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ، فَيُفْتَحُ اللَّهُ لِي، فَيَدْخُلْنِيهَا، وَمَعِيَ فَقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَى اللَّهِ وَلَا فَخْرَ». إسناده ضعيف، أخرجه الدارمي ٢٦/١.

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ برواية أبي سعيد الخدري: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ» أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤).

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ» أخرجه الشيخان. وليس معنى النهي عن التخيير أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم، فإن الله عزَّ وجلَّ قد أخبرنا أنه فضَّلَ بعضهم على بعض، فقال سبحانه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣] بل معناه تركُّ التخيير على وجه الإزراء ببعضهم والإخلال بالواجب من حقوقهم، فإنه يكون سبباً لفساد الاعتقاد في بعضهم، وذلك كُفْرًا.

فإن قيل: قد رُوِيَ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبيد أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن مَتَّى» أخرجه البخاري (٣٤١٣). فكيف وجه الجمع بين هذا وبين قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم».

قيل: التوفيق بين الحديثين واضحٌ، وذلك أن قوله: «أنا سيد ولد آدم، إنما هو إخبارٌ عما أكرمه الله به من الفضل والسُّؤدُدِ، وتحديثٌ بنعمة الله عليه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]. وإعلامٌ لأمته وأهل دعوته علوُّ مكانه عند ربِّه، وكان بيان ذلك للأمة من اللازم المفروض عليه، ليكون إيمانهم به على حَسْبِ ذلك.

وقوله: «لا فخرٌ» أي: إنما أقوله مُعتدّاً بالنعمة لا فخراً واستكباراً، أو أقوله تبليغاً لما أمرتُ به لا افتخاراً.

وقوله: «لا ينبغي لعبيد أن يقول: إني خيرٌ من يونس» ويروى «مَنْ قَالَ: أنا خيرٌ من يونس بن مَتَّى فقد كذب» فقد قيل: أراد به مَنْ سِواه من الناس دون نفسه، وقيل: هو عامٌّ فيه وفي غيره، وكان ذلك منه على سبيل إظهار التواضع لربِّه يقول: لا ينبغي لي أن أقوله، لأنَّ الفضيلة التي نلتها كرامةً من الله وخصوصيةً منه، لم أنلها من قبَلِ نفسي، ولا بلغتها بحولي وقوّتي، وإنما خصَّ يونس بالذكر - والله أعلم - لما قد قصَّ الله علينا من شأنه، وما كان من قلة صبره على أذى قومه، حتى قال لرسول الله ﷺ: ﴿وَلَا تَكُنْ كصَاحِبِ الحَوْتِ﴾ [القلم: ٤٨] ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العِزْمِ مِنَ الرِّسْلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] والله أعلم.

٣٤٦٢- عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدِلٌ فِي طَيْبَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ أَمْرِي دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَنِي، وَقَدْ خَرَجَ لَهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ.

حديث صحيح لغيره أخرجه أحمد (١٧١٥٠)، وصححه ابن حبان (٦٤٠٤)،  
وانظر تمام تخريجه وشواهد في «المسند».

قوله: «الْمُنْجِدُ» أي: مطروح على وجه الأرض صورة من طين، لم يجر فيه  
الروح بعد. ودعوة إبراهيم عليه السلام قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا وَاثْبُتْ فِيهِمْ رَسُولًا  
مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وبشارة عيسى عليه السلام قوله: ﴿يَا  
بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ  
يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

٣٤٦٣- عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ  
الْعَاصِ قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ:  
أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا  
النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي  
وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي  
الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ  
حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا  
أَعْيُنًا عُمِيًّا وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا.

أخرجه البخاري (٢١٢٥).

قوله: «ليس بفظ» أي: غليظ الجانب، سيء الخلق، ومنه قوله سبحانه  
تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و«السخاب» من السخب وهو لغة في الصخب.

٣٤٦٤- عَنْ كَعْبٍ قَالَ: إِنِّي أَجِدُ فِي التَّوْرَةِ مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ  
رَسُولُ اللَّهِ، لَا فَظٌّ وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَابٌ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي

السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَيُكَبِّرُونَهُ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، يَأْتِرُونَ إِلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيَوْضُّونَ أَطْرَافَهُمْ، صَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَصَفُّهُمْ فِي الْقِتَالِ سِوَاءَ، مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوْ السَّمَاءِ، لَهُمْ فِي جَوْ اللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجِرُهُ بِطَابَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ.

أخرجه الدارمي ٤ / ١ ورجال إسناده ثقات.

وروي عن أبي صالح ذكوان، عن كعب يحكي عن التوراة قال: نجد مكتوباً: محمدٌ رسولُ اللهِ، عبدي المختار، لا فظٌّ ولا غليظٌ، ولا سخَّابٌ بالأسواقِ، لا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، ومُلْكُهُ بالشَّامِ، وأمه الحمَّادون يَحْمَدون الله في السَّراءِ والضَّراءِ، يحمَدون الله في كلِّ مَنْزِلَةٍ، ويكَبِّرُونَهُ عَلَى كُلِّ شَرِيفٍ، رُعَاةٌ لِلشَّمْسِ، يَصَلُّونَ الصَّلَاةَ إِذَا جَاءَ وَقْتُهَا، يَأْتِرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيَتَوَضَّؤُونَ عَلَى أَطْرَافِهِمْ، مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوْ السَّمَاءِ، صَفُّهُمْ فِي الْقِتَالِ، وَصَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ سِوَاءَ، لَهُمْ بِاللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ.

أخرجه الدارمي ٥ / ١ وفي إسناده زيد بن عوف ضعَّفه الدارقطني وغيره.

## باب

### أَسْمَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣٤٦٥- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي، يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ» وَالْعَاقِبُ: الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

٣٤٦٦- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءَ: أَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَيَّ قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ» قَالَ: قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: مَا الْعَاقِبُ؟ قَالَ: الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٥٤).

قوله: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَيَّ قَدَمِي» أي: أنه يُحْشَرُ أول الناس، كقوله: «أنا أول من تنشق عنه الأرض» والعاقب: الآخر، يريد خاتم الأنبياء. قال أبو عبيد في «غريب الحديث» ١/١٤٧: ولذلك كلُّ شيء خلف بعد الشيء، فهو عاقب، وقد عَقَبَ يَعْقُبُ عَقْبًا وَعُقُوبًا، ولهذا قيل لولد الرجل بعده: هو عَقْبُهُ.

٣٤٦٧- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: لَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَعْضِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَأَنَا الْمُقَفِّي، وَأَنَا الْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ الْمَلَاحِمِ».

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٦٨) بسند حسن.

وقد صحَّ عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا سَمَّيْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ» أخرجه البخاري (٣١١٤).

قال ابن الأعرابي: المقفِّي: المتَّبَعُ للنبيين، وقال شمر: المقفِّي: والعاقبُ واحدٌ، وهو المولِّي الذاهب، يُقال: قَفَى عليه: إذا ذهب، فكان المعنى: أنه آخرُ الأنبياء، فإذا قَفَى، فلا نبيَّ بعده. فإن قيل: قد قال عليه السلام: «أنا نبيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلَاحِمِ» كيف وجه الجمع بينهما؟ وقال عليه السلام: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَهْدَاةٌ» صححه الحاكم ١/٣٥ ووافقه الذهبي. وقال: «بُعِثْتُ بِالرَّحْمَةِ»

أخرجه مسلم (٢٥٩٩). وقال جلّ ذكره: ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٣] فكيف يكون مبعوثاً بالرحمة، وقد بُعثَ بالسيف؟ قيل: هو مبعوثٌ بالرحمة، كما ذكر، وكما أخبر الله سبحانه وتعالى، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء عليهم السلام، وأيدهم بالمعجزات، فمن أنكر من تلك الأمم الحقّ بعد الحجّة والمعجزة عُدّوا بالهلاك والاستئصال، ولكن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه عليه السلام بالجهاد معهم بالسيف، ليرتدعوا عن الكفر، ولم يُجتاحوا بالسيف، فإنّ للسيف بقيّة، وليس مع العذاب المنزل بقيّة. وقد روي أن قوماً من العرب قالوا: يا رسول الله أفنانا السيف، فقال: «ذلك أبقى لآخركم» فهذا معنى الرحمة المبعوث بها ذكره الخطّابي.

ومما يؤدّد ذلك حديثُ عائشة: إن الله سبحانه بعثَ إليه ملكَ الجبال، فقال: إن شئت أن أطبقَ عليهم الأخشبين، فقال رسولُ الله ﷺ: «بَلْ أَرَجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

وهو مبعوثٌ بالرحمة أيضاً من حيث إنّ الله وضع في شريعته عن أمته ما كان في شرائع الأمم السالفة عليهم من الآصار والأغلال، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه في قصة موسى عليه السلام: ﴿ورحمتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] إلى قوله: ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ [الأعراف: ١٥٧] وأعطى أمته في الأعمار القصيرة على الأعمال اليسيرة ضِعْفَ ما أعطى الأمم الماضية في الأعمار الطويلة على الأعمال الكثيرة الثقيلة، كما جاء في حديث ابن عمر: «إن اليهود والنصارى قالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقلّ عطاءً؟ قال الله سبحانه وتعالى: فذلك فضلي أوتيته من أشياء» أخرجه البخاري (٥٥٧). فقد أكمل الله سبحانه وتعالى على الخلائق بإرسال الرّحمة، وأتمّ عليهم النعمة، وأعظمَ عليهم المنّة، فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

## باب

### خاتم النبوة

٣٤٦٨- عن الجعد بن عبدالرحمن قال: سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ يَقُولُ: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعَ فَمَسَحَ رَأْسِي، وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَاتِ، وَتَوَضَّأَ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، وَقُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مِثْلُ زُرِّ الْحَجَلَةِ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٣٥٢)، ومسلم (٢٣٤٥). وأراد بزُرِّ الحجلة: الأزرار التي تشدُّ على ما يكون في حجال العرائس من الكليل والستور. قال الخطابي: وسمعت من يقول: زُرُّ الحجلة بيضةٌ حجل الطير، يُقال للأثني منها: الحجلة، وللذكر: اليعقوب، وهذا شيءٌ لا أحفه.

٣٤٦٩- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: رَأَيْتُ الْخَاتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُدَّةَ حَمْرَاءَ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٤٤)، وقال: «مثل بيضة الحمامة يُشبهه جسده».

٣٤٧٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسَ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَأَكَلْتُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرِبْتُ مِنْ شَرَابِهِ، وَرَأَيْتُ خَاتَمَ النَّبِيِّ ﷺ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى، كَأَنَّهُ جَمْعُ خَيْلَانَ سُودٍ، كَأَنَّهَا نَالِيلٌ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٤٦).

نُغْضُ الكَتِفِ: هو العظمُ الرقيق على طرفها ، والناغض من الإنسان أصلُ العنق حيث يُنغض رأسه، وقيل: الناغض: فرعُ الكتف سمي ناغضاً لِتحرّكه، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَسِيْنُغْضُوْنَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١] أي: يحركونها على سبيل الهزاء.

## باب

### صفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣٤٧١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ، وَلَيْسَ بِالْأَدَمِ، وَلَا بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ، وَلَا بِالسَّبْطِ، بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧).

قوله: «ليس بالأبيض الأمهق» الشديدُ البياض الذي لا يخالطُ بياضه شيءٌ من الحمرة كلونِ الجصِّ. والجعد القططُ: الشديد الجعودة مثل أشعار الحبش، والسَّبْطُ: الذي ليس له تكسُّرٌ، يقول: هو جَعْدٌ رَجُلٌ.

٣٤٧٢- عَنْ أَنَسِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخْمَ الرَّأْسِ وَالْقَدَمَيْنِ لَمْ أَرْ بَعْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ، وَكَانَ بَسْطَ الْكَفَّيْنِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٥٩٠٧).

٣٤٧٣- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا لَيْسَ بِالسَّبْطِ وَلَا الْجَعْدِ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقَيْهِ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٥٩٠٥)، ومسلم (٢٣٣٨).

٣٤٧٤- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى نِصْفِ أُذُنَيْهِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٣٨) (٩٤).

٣٤٧٥- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِبْعَةً، وَلَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، حَسَنَ الْجِسْمِ، وَكَانَ شَعْرُهُ لَيْسَ بِجَعْدٍ وَلَا سَبِطٍ، أَسْمَرَ اللَّوْنِ إِذَا مَشَى يَتَوَكَّأً.

أخرجه أبو داود (٤٨٦٣)، والترمذي (١٧٥٤) بإسنادٍ حسن.

قوله: رِبْعَةً: هو الرَّجُلُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، كما قال: ليس بالطويل ولا بالقصير.

٣٤٧٦- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ، ضَخَمَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةَ، شَنَّ الْكَفَيْنِ، مُشْرَبٌ حُمْرَةً، ضَخَمَ الْكَرَادِيْسِ، طَوِيلَ الْمَسْرُوبَةِ، إِذَا مَشَى تَكْفَأً تَكْفِيًّا، كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

حسن لغيره، أخرجه أحمد (٧٤٦)، والترمذي في «الشمائل» (٥)، و«الجامع» (٣٦٤١) وقال: هذا حديث صحيح.

قوله: شَنَّ الْكَفَيْنِ، أي: غليظهما، يُقال منه: شَنَّ وشَنَّ شَنَّاً وشَنَّتَ شَنَّاً. قوله: مشربٌ حمرةً: إذا كان في بياضه حمرةً.

قوله: ضخم الكراديس. أراد: ضخم الأعضاء، والكراديس: رؤوس العظام، وقيل لكتاب الخيل: كراديس.

قوله: طويل المسروبة. وفي حديث هند بن أبي هالة: دقيق المسروبة، فالمسروبة: الشعر المستدق من الصدر إلى السرة. وقوله: إذا مشى تكفأً تكفياً،

أي: تمايل إلى قدام، كما تتكفأ السفينة في جريها، والصَّبَبُ: الحدور، وهو ما انحدر من الأرض وجمعه أصبابٌ، يريد: أنه كان يمشي مشياً قوياً يرفع رجله من الأرض رفعاً باثناً لا كمن يمشي اختيلاً، ويقارب خطاه تنعماً.

٣٤٧٧- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ فِي سَاقِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمُوشَةٌ، وَكَانَ لَا يَضْحَكُ إِلَّا تَبَسُّمًا، فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ، قُلْتُ: أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ، وَلَيْسَ بِأَكْحَلَ.

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٢٢٧)، وفي «الجامع» (٣٦٤٨) وفي إسناده الحجاج بن أرطاة وهو مدلس وقد عنعن. وأخرجه أحمد (٢١٠٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠٢٤).

قوله: «الحموشة» هي الدقة.

٣٤٧٨- عَنْ سَمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنَيْنِ، مَنْهُوشَ الْعَقَبِ. قَالَ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ - رَاوِي الْحَدِيثِ -: قُلْتُ لِسَمَاكٍ: مَا ضَلِيعُ الْفَمِ؟ قَالَ: عَظِيمُ الْفَمِ، قُلْتُ: مَا أَشْكَلُ الْعَيْنَيْنِ. قَالَ: طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ. قُلْتُ: مَا مَنْهُوشَ الْعَقَبِ؟ قَالَ: قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقَبِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣٩).

قال أبو عبيد في «غريب الحديث» ٣٨٩/١: الشُّكْلَةُ حُمْرَةٌ فِي بِيَاضِ الْعَيْنِ، وَالشُّهْلَةُ: حُمْرَةٌ فِي سَوَادِ الْعَيْنِ. وَيُرْوَى: مَنْهُوسَ الْقَدَمَيْنِ بِالسَّيْنِ غَيْرِ الْمَعْجَمَةِ، وَمَعْنَاهُ أَيْضًا: قَلِيلُ لَحْمِهَا، وَالنَّهْسُ: أَخَذَ مَا عَلَى الْعَظْمِ مِنَ اللَّحْمِ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ، وَالنَّهْسُ بِالْأَضْرَاسِ، وَيُقَالُ: نُهَسْتُ عَضْدَاهُ: إِذَا دَقْنَا.

٣٤٧٩- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفْلَحَ النَّبِيِّينَ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيَاهُ».

أخرجه الدارمي (٥٨)، والترمذي في «الشمائل» (١٥) وإسناده ضعيف فيه عبد العزيز بن أبي ثابت، ضعيف.

٣٤٨٠- عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ شَعْرٌ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ، بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَمْ يَكُنْ بِالْقَصِيرِ، وَلَا بِالطَّوِيلِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣٧) (٩٢).

اللُّمَّةُ: دون الجمَّة سميت لِمَّةً، لأنها أَلَمَّتْ بِالْمَنْكِبَيْنِ، فإذا زادت، فهي الجُمَّة.

٣٤٨١- عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعاً، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعْرٌ بَلَغَ شَحْمَةَ أُذُنِهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

٣٤٨٢- سُئِلَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ السِّيفِ؟ قَالَ: لَا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ.

أخرجه البخاري (٣٥٥٢).

٣٤٨٣- عَنْ سَعِيدِ الْجُرَيْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ رَأَاهُ غَيْرِي، قُلْتُ: صِفْهُ لِي، قَالَ: كَانَ أَيْضَ مَلِيحاً مُقَصِّداً.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٤٠).

قوله: مُقَصِّدًا، أي: ليس بجسيم، ولا قصير، قيل: هو القصدُ من الرجال نحو الرُّبْعَةِ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢] أي: بين الظالم لنفسه، والسابق بالخيرات.

٣٤٨٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا، وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِبٍ.

حديث حسن أخرجه أحمد برقم (٨٦٠٤)، والترمذي في «الشمائل» (١٢٤)، و«الجامع» (٣٦٤٨). وانظر تمام تخريجه والكلام عليه في «المسند».

٣٤٨٥- كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا، وَأَجْرَأَ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَوْفَاهُمْ ذِمَّةً، وَالْيَنَّهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ فَعَرَفَهُ، أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعَتُهُ: لَمْ أَرِ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

أخرجه أبو الشيخ مختصراً في «أخلاق النبي» (٨٧) وفي سنده انقطاع، وأخرجه بآتم مما هنا الترمذي (٣٦٣٨) وقال: هذا حديث حسن غريب ليس إسناده بمتصل.

٣٤٨٦- عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ سُوءَةٍ، وَرَأَيْتُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةَ بِنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبِكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دِحْيَةَ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٧).

قوله: ضَرَبَ من الرِّجَالِ، يُقَالُ: ضَرَبْتُ، أَي: خفيف اللحم.

## باب

### شَيْبِهِ وَخِضَابِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣٤٨٧- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: لَمْ يَلُغْ ذَلِكَ، إِنَّمَا كَانَ شَيْبًا فِي صُدْغَيْهِ، وَلَكِنْ أَبُو بَكْرٍ خَضَبَ بِالْحِنَاءِ وَالكَتَمِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٥٨٩٤)، ومسلم (٢٣٤١).

٣٤٨٨- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا عَدَدْتُ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِحْيَتِهِ إِلَّا أَرْبَعَ عَشْرَةَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ.

إسناده صحيح، أخرجه أحمد برقم (١٢٦٩٠)، وعبدالرزاق في «المصنف» (٢٠١٨٥).

٣٤٨٩- عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: قِيلَ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكَانَ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْبٌ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْبٌ إِلَّا شَعْرَاتٌ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، إِذَا أَدَهَنَ، وَارَاهُنَّ الدُّهْنُ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

٣٤٩٠- عَنْ حَرِيزِ بْنِ عَثْمَانَ أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ بُسْرِ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ شَيْخًا، قَالَ: كَانَ فِي عَنُقَتِهِ شَعْرَاتٌ بَيْضٌ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٤٦). و«العنققة» شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

٣٤٩١- عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ شَيْبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ شَعْرَةً.

هذا حديث حسن لغيره، أخرجه أحمد برقم (٥٦٣٣)، وابن ماجه (٣٦٣٠) وصححه البوصيري في «الزوائد» ٥٦/٣، وابن حبان (٦٢٩٤) وانظر تمام تخريجه في «المسند».

٣٤٩٢- عن إِيَادِ بْنِ لَقِيطٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو رِمَّةَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مَعَ ابْنِ لَيْ، فَقَالَ: «ابْنُكَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ أَشْهَدُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَجْنِي عَلَيْكَ، وَلَا تَجْنِي عَلَيْهِ» قَالَ: وَرَأَيْتُ الشَّيْبَ أَحْمَرَ.

أخرجه أحمد برقم (٧١٠٧)، والترمذي في «الشمائل» (٤٥)، وأبو داود (٤٢٠٨) وغيرهما بإسناد صحيح.

وقال سفيان الثوري عن إِيَادِ بْنِ لَقِيطِ الْعِجْلِيِّ، عن أَبِي رِمَّةَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَكَانَ قَدْ لَطَخَ لِحْيَتَهُ بِالْحَنَاءِ.

## باب

### طيب ريحه عليه السلام

٣٤٩٣- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا شَمَمْتُ رَائِحَةَ قَطْ مِسْكَةٍ وَلَا عُنْبِرَةَ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطْ خَزَّةً وَلَا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٢٩).

وروي عن أنس، عن أم سليم أن النبي ﷺ كان يأتيها، فيقبل عندها، فكانت تجمع عرقه، فتجعله في الطيب، وكان كثير العرق. أخرجه مسلم (٢٣٣٢).

٣٤٩٤- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَلِدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدِّي أَحَدَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا، فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّهَا أَخْرَجَهَا مِنْ جَوْثَةِ عَطَّارٍ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٢٩).

«وجوثة العطار»: الوعاء الذي فيه متاعه.

وفي مسح صلوات الله وسلامه عليه على الصبيان بيان حسن خلقه ورحمته للأطفال وملاطفتهم. وقد دلت هذه الأحاديث على بيان طيبه ﷺ وهو مما أكرمه الله تعالى به، وكانت هذه صفته وإن لم يمس طيباً، ومع هذا فكان يستعمل الطيب كثيراً مبالغة في طيب ريحه، لملاقاة الملائكة، وأخذ الوحي الكريم. ومجالسة المسلمين. أفاده النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ٩٤/٨.

٣٤٩٥- عن ثمامة بن عبدالله: أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نِطْعًا، فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلَى ذَلِكَ النَّطْعِ قَالَ: فَإِذَا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ، أَخَذَتْ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعْرِهِ، فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ، ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِي سُكِّ. قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْوَفَاةَ، أَوْصَى أَنْ يُجْعَلَ فِي حَنُوطِهِ مِنْ ذَلِكَ السُّكِّ قَالَ: فَجُعِلَ فِي حَنُوطِهِ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٦٢٨١).

«النطع»: بساط يُتَّخَذُ مِنَ الْجِلْدِ الْمَدْبُوعِ. و«السك»: طيب مركب.

٣٤٩٦- عَنْ أَنَسِ بْنِ قَالٍ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ عِنْدَنَا، فَعَرَقَ، فَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلْتُ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقِظَ

النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟» قَالَتْ: هَذَا عَرَفَكَ نَجَعَلُهُ فِي طَيِّبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣١).

قوله: «تَسَلَّتْ»: أي: تَمَسَّحَهُ وتَبَعَهُ بِالمَسْحِ وهذا من خصوصياته ﷺ. انظر «الفتح» ٧٩/١١.

٣٤٩٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا نَعْرِفُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُقْبِلَ بِطَيِّبٍ رِيحِهِ.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٢٢٦) وفي سنده ضعف لضعف عمر بن سعيد الأبيح، قال البخاري: منكر الحديث.

#### باب

#### حُسْنِ خُلُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ [القلم: ٤] قَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: أَدَبُ الْقُرْآنِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ.

٣٤٩٨- عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُ خُلُقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٤٩).

٣٤٩٩- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ؟ وَلَا لِي شَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا،

وَلَا مَسِسْتُ خِزًّا قَطُّ، وَلَا حَرِيرًا، وَلَا شَيْئًا كَانَ أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ، وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَاً، وَلَا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٣٠) و(٢٣٠٩).

٣٥٠٠- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ لَيْسَ كُلُّ  
أَمْرِي كَمَا يَشْتَهِي صَاحِبِي أَنْ يَكُونَ، فَمَا قَالَ لِي: أْفُ، وَمَا قَالَ  
لِي: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا، أَوْ أَلَا فَعَلْتَ.

٣٥٠١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ  
فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «خَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا».

أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

٣٥٠٢- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ  
إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا ضَرَبَ خَادِمًا وَلَا امْرَأَةً.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٢٨).

٣٥٠٣- عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا  
مُتَفَحِّشًا، وَلَا سَخَابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ،  
وَلَكِنْ يَعْفُو أَوْ يَصْفَحُ.

أخرجه أحمد برقم (٢٥٤١٧)، وصححه الترمذي (٢٠١٧) وهو كما قال.

الفاحش: ذو الفحش في كلامه. والمتفحش: الذي يتكلف ذلك ويتعمده.

٣٥٠٤- قَالَ أَنَسٌ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَابًا وَلَا فَحَّاشًا وَلَا  
لَعَانًا، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: «مَا لَهُ تَرَبَّ جَبِينُهُ».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٦٠٤٦).

٣٥٠٥- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنْتُ أُمْسِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكُهُ أُعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُزِي لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.

هذا حديث متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧).

وفي الحديث: بيان حلمه صلوات الله عليه وصبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الإسلام، ليتأسى به الولاة بعده في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن. أفاده الحافظ في «الفتح» ٥٢٢/١٠.

٣٥٠٦-- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُرِيدُ بِهَذَا وَجْهَ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهَهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُؤْذِيَ بِمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، فَصَبَرَ».

هذا حديث متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

وروي عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله اذعُ على المشركين قال: «إني لم أبعث لَعَانًا، وَإِنَّمَا بَعَثْتُ رَحْمَةً» أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

## باب

### تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣٥٠٧- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ امْرَأَةً عَرَضَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ اجْلِسِي فِي أَيِّ سِكَكِ الْمَدِينَةِ شِئْتَ اجْلِسِي إِلَيْكَ» قَالَ: فَفَعَلْتُ، فَفَعَدَّ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه مسلم (٢٣٢٦) من طريق ثابت عن أنس.

وأخرج البخاري (٦٠٧٢) معناه عن محمد بن عيسى، عن هُشيم، عن حميد عن أنس قال: كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنتلق به حيث شاءت.

٣٥٠٨- عن مسلم الأعمور قال: سَمِعْتُ أَنَسًا يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَعُودُ الْمَرِيضَ، وَيَتَّبِعُ الْجِنَازَةَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ خَيْبَرَ عَلَى حِمَارٍ خِطَامُهُ لَيْفٌ.

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٢٥) و«الجامع» (١٠١٧)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» ص ٦٢، وابن ماجه (٤١٧٨)، وسنده ضعيف لضعف مسلم الأعمور، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مسلم عن أنس، ومسلم الأعمور يضعف، وهو مسلم بن كيسان.

٣٥٠٩- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعُرْيَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ، وَيَنَامُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَقُولُ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعِ جِئْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ».

إسناده ضعيف في سنده رَوَّادُ بن الجراح والحسن بن عمار، وكلاهما ضعيف. وأخرج الترمذي في «الشمائل» (٣٣) و«الجامع» (١٣٣٨) من طريق بشر ابن المفضل، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أهدى إلى كراع لقبلت، ولو دعيت عليه لأجبت» وقال: حديث حسن صحيح.

والحمارُ العُرِيُّ: هو الذي ليس عليه شيء يضعه الراكب تحته من إكافٍ أو برذعة.

٣٥١٠- عن عروة بن الزبير قال: سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ.

إسناده صحيح، أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٢٠٤٩٢) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٣).

قولها: يَخْصِفُ نَعْلَهُ، أي يُطَبِّقُ طَاقَةَ عَلَى طَاقَةٍ، وَأَصْلُ الْخَصْفِ: الْجَمْعُ وَالضَّمُّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] أي: يُطَبِّقَانِ عَلَى بَدَنِهِمَا وَرَقَةً وَرَقَةً.

٣٥١١- عن عمرة بنت عبدالرحمن الأنصارية قالت: قِيلَ لِعَائِشَةَ: مَاذَا كَانَ يَعْمَلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ بَشْرًا مِنْ الْبَشْرِ يَقْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدِمُ نَفْسَهُ.

حديث حسن أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤١)، وأبو يعلى (٤٨٧٣). وفي سنده عبدالله بن صالح كاتب الليث وإن كان سَيِّئُهُ الْحَفِظُ قَدْ تَابِعَهُ عِنْدَ أَحْمَدَ (٢٦١٩٤) حماد بن خالد وسنده حسن.

٣٥١٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى  
الغَدَاةَ، جَاءَ خَدَمَ الْمَدِينَةِ بِأَيْتِهِمْ فِيهَا الْمَاءَ، فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا  
غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا، فَرُبَّمَا جَاؤُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ، فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٢٤).

٣٥١٣- عن الأسود قال: سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع  
في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله (تعني خدمة أهله)، فإذا  
حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة. وقال محمد بن عزرعة: أخبرنا  
شعبة: فإذا سمع الأذان، خرج.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٦٠٣٩).

٣٥١٤- عَنْ خَارِجَةَ بِنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: دَخَلَ نَفَرٌ عَلَى زَيْدِ  
ابْنِ ثَابِتٍ، فَقَالُوا لَهُ: حَدِّثْنَا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَاذَا  
أَحَدْتُمْ كُنْتُ جَارَهُ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، بَعَثَ إِلَيَّ، فَكَتَبْتُهُ  
لَهُ، فَكَانَ إِذَا ذَكَرْنَا الدُّنْيَا، ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الْآخِرَةَ، ذَكَرَهَا  
مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الطَّعَامَ ذَكَرَهُ مَعَنَا، فَكُلُّ هَذَا أَحَدْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ.

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٤٤) وإسناده ضعيف، فيه الوليد بن أبي  
الوليد لثنين الحديث وسليمان بن خارجة لم يوثقه غير ابن حبان. وأخرجه الطبراني  
في «الكبير» (٤٨٨٢).

٣٥١٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا صَافَحَ  
الرَّجُلَ، لَمْ يَنْزِعْ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ، وَلَا

يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَن وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَن وَجْهِهِ، وَلَمْ يَرِ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ.

هذا حديث ضعيف الإسناد، أخرجه ابن ماجه (٣٧١٦) وآفته زيد العمي أحد رواته.

٣٥١٦- عَنْ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

قوله: «لا تطروني» الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، وذلك أن النصارى أفرطوا في مدح عيسى وإطرائه بالباطل، وجعلوه ولداً، فمنعهم النبي ﷺ من أن يطروه بالباطل.

٣٥١٧- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَطَّارِ بْنِ حَاجِبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَانْكَبَتْ فِي ظَهْرِهِ قَالَ: فَذَهَبَ بِي إِلَى شَجَرَةٍ فِيهَا مِثْلُ وَكْرِيِّ الطَّيْرِ، فَقَعَدَ فِي أَحَدِهِمَا، وَقَعَدْتُ فِي الْآخَرِ، فَنَشَأْتُ بِنَا حَتَّى مَلَأَتِ الْأَفْقَ، فَلَوْ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى السَّمَاءِ، لَنَلْتُهُمَا، ثُمَّ دُلِّي سَبَبٌ، فَهَبَطَ النَّورُ، فَوَقَعَ جَبْرِيلُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ جَلَسٌ، فَعَرَفْتُ فَضْلَ خَشِيَّتِهِ عَلَى خَشِيَّتِي، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْبِيَاءَ عِبَادًا، أَوْ نَبِيًّا مَلِكًا وَإِلَى الْجَنَّةِ مَا أَنْتَ، فَأَوْمَى إِلَيَّ جَبْرِيلُ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ: بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا.

هذا حديث مرسل، وانظر ما بعده.

٣٥١٨- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ، لَسَارَتْ مَعِيَ جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلِكٌ إِنْ حُجِزَتْهُ لَتَسَاوِي

الكَعْبَةَ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: إِنَّ سِثْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإِنْ سِثْتَ نَبِيًّا مَلِكًا، فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعَّ نَفْسَكَ، فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا» قَالَتْ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَأْكُلُ مُتَكِنًا، يَقُولُ: «أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ».

حديث صحيح وهو في «أخلاق النبي» (٦١٠)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٩/٩، وقال: رواه أبو يعلى وإسناده حسن مع أن فيه أبا معشر واسمه نجیح بن عبدالرحمن السندي وهو ضعيف، لكن يشهد له حديث ابن عباس الذي سيذكره المصنف، والمرسل الذي تقدم، وله شاهد مرسل بنحوه، أخرجه أحمد في «الزهد» ص ٥، ٦ من طريق جرير بن حازم، قال: سمعت الحسن يقول: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام، أمر به، فألقى على الأرض، وقال: «أكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد» وسنده صحيح.

٣٥١٩- كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَدِّثُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ الْمَلَكُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخَيِّرُكَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا، وَبَيْنَ أَنْ تَكُونَ مَلِكًا نَبِيًّا، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَالْمُسْتَشِيرِ لَهُ، فَأَشَارَ جِبْرِيلُ بِيَدِهِ أَنْ تَوَاضَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا بَلْ عَبْدًا نَبِيًّا» فَمَا أَكَلَ بَعْدَ تِلْكَ الْكَلِمَةِ طَعَامًا مُتَكِنًا حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٦١١) وفي سنده علتان: تدليس بقية بن الوليد، وانقطاع الوسطة بين محمد بن علي وأبيه فإنه لم يسمع منه، ولكنه يصلح شاهداً للحديث قبله.

## بَابُ

### جُودِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣٥٢٠- عن محمد بن المنكدر قال: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، فَقَالَ: لَا.  
هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣١١).

٣٥٢١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَجُودَ النَّاسِ وَأَجُودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا لَقِيَ جِبْرِيلَ أَجُودَ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨).

٣٥٢٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ، وَأَجُودِ النَّاسِ، وَأَشْجَعِ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَرَّةً، فَرَكَبَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيًا، ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ بَحْرًا».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٢٦٢٧)، ومسلم (٢٣٠٧).

قوله: فَرََعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، أي: استغاثوا، والفَرَغُ: بمعنى الخوف، ويكون بمعنى الإغاثة.

وقوله: «عُرْيًا» يقال: فَرَسٌ عُرْيٌ، وخَيْلٌ أَعْرَاءٌ، ولا يُقَالُ: رَجُلٌ عُرْيٌ، ولكن عُرْيَانٌ. قوله: «لَنْ تُرَاعُوا» معناه: لا فَرَغَ ولا رُوعَ، فاسْكُنُوا، يُقَالُ: رِيعٌ فَلَانٌ: إِذَا فَرَغَ، وَيُرْوَى: «لَمْ تُرَاعُوا» وتضع العرب «لم» و«لن» بمعنى «لا».

٣٥٢٣- عن عمر بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ تَبِعَهُ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، فَأَلْجَوْهُ إِلَى شَجَرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِداءَهُ، وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَقَالَ: «رُدُّوا عَلَيَّ رِدايَ أَتَخْشَوْنَ عَلَيَّ الْبُخْلَ؟» فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاءِ نَعْمًا، لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخَيْلًا وَلَا جَبَانًا، وَلَا كَذَابًا».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٢٨٢١).

و«العِضَاءُ» شَجَرٌ كَثِيرُ الشوك.

٣٥٢٤- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ.

إسناده قوي أخرجه الترمذي (٢٣٦٣)، وصححه ابن حبان (٦٣٧٨).

٣٥٢٥- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلَهُ، فَأَعْطَاهُ عَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَتَى الرَّجُلُ قَوْمَهُ، فَقَالَ: أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ رَجُلٍ مَا يَخَافُ فِاقَةً.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣١٢).

والفاقة: الفقر والحاجة.

٣٥٢٦- عن سعيد بن المسيب أن صفوان بن أمية قال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين، وإنه لأبغض الخلق إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي.

أخرجه مسلم (٢٣١٣)، والترمذي (٦٦٦) وغيرهما.

## بَابُ

حَيَاتِهِ وَقِلَّةِ كَلَامِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣٥٢٧- عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ عَذْرَاءٍ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا، رَأَيْنَاهُ فِي وَجْهِهِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

٣٥٢٨- عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لِأَخْصَاهُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

٣٥٢٩- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَوِيلَ الصَّمْتِ.

حديث حسن، أخرجه أحمد برقم (٢٠٨١٠)

٣٥٣٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ فَضْلٍ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ.

هذا حديث صحيح. أخرجه مسلم (٢٤٩٣)، وأبو داود (٣٦٥٥).

قولها: يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ، أي: يُتَابِعُهُ، ومثله: فَلَانُ يَسْرُدُ الصِّيَامَ سَرْدًا، أي: يُوَالِيهِ، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١] وهو متابعة جِلْقِ الدَّرْعِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى يَتَنَاسَقَ، معنى التقدير في السَّرْدِ، أي: لَا تَجْعَلِ الْمَسَامِيرَ دِقَاقًا، فَتَقْلَقَ، وَلَا غِلَظًا فَتَنْفِصِمِ الْحَلْقَ.

## باب

### شجاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ وَأَجْوَدِ النَّاسِ،  
وَأَشَجَعَ النَّاسِ.

أخرجه الشيخان: البخاري (٣٠٤٠)، ومسلم (٣٠٧).

٣٥٣١- عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: كُنَّا - وَاللَّهِ - إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسُ، نَتَّقِي بِهِ  
يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا الَّذِي يُحَاذِي بِهِ.  
هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٧٧٦).

٣٥٣٢- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: كُنَّا إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ  
الْقَوْمَ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ  
مِنَهُ.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٠٦)، وأحمد برقم (١٣٤٧) وإسناده  
صحيح وتمام تخريجه في المسند.

قوله: أَحْمَرَّ الْبَأْسُ. أي: اشتدَّ الحرب، يقال: مَوْتُ أَحْمَرُّ، أي: شديد.  
وقوله: اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أي: جعلناه واقية لنا من العدو.

٣٥٣٣- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ، وَنَحْنُ نَلُودٌ بِالنَّبِيِّ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ  
بَأْسًا.

أخرجه أحمد برقم (٦٥٤)، وابن أبي شيبة ٣٥٧/١٤ وإسناده صحيح، وانظر  
تمام تخريجه في «المسند».

٣٥٣٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَسْمَحَ النَّاسِ.  
أخرجه مسلم (٢٣٠٧).

### باب

تسمه صلى الله عليه وسلم

٣٥٣٥- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُسْتَجْمِعاً قَطُّ ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ.  
أخرجه البخاري (٦٠٩٢).

٣٥٣٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزءٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

حديث حسن، أخرجه أحمد برقم (١٧٧٠٤)، والترمذي (٣٦٤٢) وقال: حسن غريب. وله شاهد عند أحمد (٢١٧٣٢) من حديث أبي الدرداء وفي سنده بقية بن الوليد. وقد دلت الأحاديث على وقاره ﷺ، وأنه لم يكن مفرطاً في الضحك الذي يذهب بالهبة والسكينة.

### باب

اختياره أيسر الأمرين صلى الله عليه وسلم

٣٥٣٧- عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ بِهَا.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٣٧).

باب

### جامع صفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣٥٣٨- عَنْ حِزَامِ بْنِ هِشَامِ بْنِ حُبَيْشٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَتِيلِ  
الْبَطْحَاءِ يَوْمَ الْفَتْحِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ حُبَيْشِ بْنِ خَالِدٍ - وَهُوَ أَخُو  
عَاتِكَةَ بِنْتِ خَالِدٍ، وَكُنِيَّتُهَا أُمُّ مَعْبِدٍ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُخْرِجَ  
مِنْ مَكَّةَ خَرَجَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَمَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَامِرُ  
بْنُ فُهَيْرَةَ، وَدَلِيلُهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَرَيْقِطِ اللَّيْثِيُّ، مَرُّوا عَلَى خِيْمَتِي أُمَّ  
مَعْبِدِ الْخُزَاعِيَّةِ، وَكَانَتْ بَرْزَةً تَحْتِي بِفِنَاءِ الْخِيْمَةِ، ثُمَّ تَسْقِي وَتَطْعِمُ،  
فَسَأَلُوهَا لَحْمًا وَتَمْرًا لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ،  
وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْتَبِينَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ  
الْخِيْمَةِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ؟ قَالَتْ: شَاةٌ خَلَقَهَا الْجَهْدُ  
عَنِ الْغَنَمِ، قَالَ: هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ:  
أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا، قَالَتْ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا،  
فَأَحْلِبَهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَسَمَّى اللَّهُ  
جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِيهَا، فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ، وَدَرَّتْ، وَاجْتَرَّتْ،  
فَدَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ، فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا حَتَّى عَلَاهُ الْبَهَاءُ، ثُمَّ  
سَقَاهَا حَتَّى رَوَيْتَ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوُوا، ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُمْ،  
ثُمَّ أَرَاضُوا، ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ ثَانِيًا بَعْدَ بَدءِ حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ  
عِنْدَهَا وَبَايَعَهَا، وَارْتَحَلُوا عَنْهَا، فَقَلَّمَا لَبِثْتُ حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو  
مَعْبِدٍ يَسُوقُ أَعْتْرًا عِجَافًا، يَسَاوُكُنْ هَزْلَى ضُحَى، مُحْهَنٌ قَلِيلٌ، فَلَمَّا

رَأَى أَبُو مَعْبِدٍ اللَّبْنَ، عَجِبَ، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا اللَّبْنُ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ، وَالشَّاءُ عَازِبٌ حِيَالٌ لَا حَلُوبَ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ إِنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبِدٍ قَالَتْ:

رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ، أَبْلَجَ الْوَجْهَ، لَمْ تَعْبُهُ نُحْلَةٌ، وَلَمْ تُزِرْ بِهِ صُقْلَةٌ، وَسِيْمٌ قَسِيْمٌ، فِي عَيْنِهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطْفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهْلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطْعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَائَةٌ، أَرْجٌ أَقْرَنُ، إِنْ صَمَتَ، فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ وَإِنْ تَكَلَّمَ، سَمَا وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَجْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلُوُ الْمَنْطِقِ، فَضْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ، كَانَ مَنْطِقُهُ خَرَزَاتٍ نَظْمٌ يَتَحَدَّرْنَ، رُبْعَةٌ لَا يَأْسَ مِنْ طُولِ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصْرِ، غُضْنٌ بَيْنَ غُضْنَيْنِ، فَهَوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رُفَقَاءُ يَحْقُونُ بِهِ، إِنْ قَالَ، أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ، تَبَادَرُوا لِأَمْرِهِ، مَحْشُودٌ مَحْفُودٌ، لَا عَابِسٌ وَلَا مُفْنَدٌ. قَالَ أَبُو مَعْبِدٍ: هُوَ وَاللَّهِ صَاحِبُ قُرَيْشِ الَّذِي ذَكَرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذَكَرَ بِمَكَّةَ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبَهُ، وَلَا فَعَلَنْ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَأَصْبَحَ صَوْتُ بِمَكَّةَ عَلِيًّا يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ، وَلَا يَذْرُونَ مَنْ صَاحِبُهُ وَهُوَ يَقُولُ

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ  
هُمَا نَزَلَاهَا بِالْهُدَى وَاهْتَدَتْ بِهِ  
فِي الْقُصِيِّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ  
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَقَامَ فَتَاتِهِمْ  
رَفِيقَيْنِ قَالَا خَيْمَتِي أُمَّ مَعْبِدٍ  
فَقَدْ فَازَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ  
بِهِ مِنْ فَعَالٍ لَا يُجَازِي وَسُودِدِ  
وَمَقْعُدَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَأَنَايْهَا      فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسَأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ  
دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ      عَلَيْهِ صَرِيحاً ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ  
فَعَادَرَهَا رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ      يُرَدِّدُهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ

حديث حسن قوي أخرجه الحاكم في «المستدرک» ١٠، ٩/٣، وصححه ووافقه  
الذهبي مع أن فيه هشام بن حبيش لم يذكر بجرح ولا تعديل، وذكره الهيثمي في  
«المجمع» ٥٥/٦، ٥٨، وقال: رواه الطبراني، وفي إسناده جماعة لم أعرفهم،  
وأورده السيوطي في «الخصائص الكبرى» ٤٦٧/١، وزاد نسبه إلى البغوي، وابن  
شاهين، وابن السكن، وابن منده، والبيهقي، وأبي نعيم كلهم من طريق حزام بن  
هشام بن حبيش، عن أبيه، عن جده، وذكر له المحافظ ابن كثير طريقين آخرين في  
«بدايته» ١٩٢/٣، ١٩٤، وقال: وقصة أم معبد مشهورة مروية من طرق يشد  
بعضها بعضاً.

قوله: بَرَزَةٌ، أي: هي كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب. وقوله: مُرْمَلِينَ: أي  
نَفَذَ زَادَهُمْ، يقال: أَرْمَلَ الرَّجُلُ: إذا ذهب طعامه.

وقوله: مُسْتَتِينَ، أي: أصابهم القحط، يُقال: أَسْتَتَ الْقَوْمُ، فهم مُسْتَتُونَ.  
ويُرْوَى: مُشْتِينَ، أي: أصابتهم المجاعة، وتجعل العرب الشتاء مجاعةً. ويقال  
مُشْتِينَ: داخلين في الشتاء، يُقال: أَسْتَى الْقَوْمُ: إذا دخلوا في الشتاء، وأصافوا:  
إذا دخلوا في الصيف.

وَكِسْرُ الخِيْمَةِ: جانبٌ منها، وفيه لفتان كِسْرٌ وَكَسْرٌ مثل نَفِطٍ وَنَفِطٍ وَبَزْرٍ وَبَزْرٍ.  
وقولها: خَلَفَهَا الجَهْدُ، أي: الهُزَالُ، يقال: جُهِدَ الرَّجُلُ فهو مَجْهُودٌ: إذا  
هُزِلَ. وقوله: فَتَفَاجَّتْ، أي: فتحت ما بين رجليها للحلب.

قوله: دَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَهْطَ، أي: يُرْوِيهِمْ حتى يثقلوا فيربضوا ويناموا، يقال  
أرْبِضَتِ الشَّمْسُ: إذا اشْتَدَّ حَرُّهَا حتى تُرْبِضَ الوَحْشَ فِي كِنَاسِهَا. والرَهْطُ: ما بين  
الثلاثة إلى العشرة، وكذلك النَّفْرُ، والعصبة: ما بين ذلك إلى الأربعين. وقوله:

فحلب فيه ثجاً. فالثجُ: السيلان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ  
المعصرات ماءً ثجاجاً﴾ [النبا: ١٤]، أي: سيالاً. وقوله: حتى علاه البهاء،  
يريد علا الإناء بهاء اللبن، وهو ويبيض رغوته، تريد أنه ملاء.

وقوله: ثم أراضوا، أي: شربوا عَلاً بعد نهل، مأخوذ من الروضة، وهو  
الموضع الذي يستنقع فيه الماء، يريد شربوا حتى رووا فنقعوا بالرّي، يقال:  
أراض الوادي، واستراض: إذا استنقع فيه الماء، ويقال: حتى أراضوا، أي: ناموا  
على الإراض، وهو البساط.

وقوله: يتساوكن هزلي، أي: تتمايل من الضعف والهزال، وفي رواية:  
تشاركن هزلي، أي: عمهن الهزال، فاشتركن فيه، وفي رواية: لانقي بهن،  
والنقي: المخ. قوله: والشاء عازب، أي: بعيد في المرعى، يقال: عزب فلان،  
أي: بعد، والحيال: التي لم تحمل، يقال، حالت الشاة تحول حياًلاً: إذا لم  
تحمل بعد الضراب.

وقولها: أبلج الوجه. تريد مشرق الوجه. مضيئه، يقال: تبلج الصبح وانبلج:  
إذا أسفر، ولم تُرد بلج الحاجب ألا ترى أنها تصفه بالقرن.

وقولها: لم تبعه نخلة، أي: دقة من نحول الجسم، ويروى: ثجلة بالشاء المثلثة  
والجيم، وهو عظم البطن، يقال: رجل أثجل، أي: عظيم البطن، وكذلك العنجل.

وقولها: ولم تزر به صقلة، أي: دقة، وقيل: أرادت به أنه لم يكن منتفخ  
الخاصرة جداً، ولا ناحلاً جداً، ولكن كان رجلاً ضرباً، والصقلة: الخاصرة،  
يقال: فرس صقيل: إذا كان طويلها وهو عيب تريد أنه رجل ضرب ليس بناحل  
ولا منتفخ. ويروى: لم تزر به صغلة بالعين وهي صغر الرأس، يقال للظليم:  
صغل لصغر رأسه.

قولها: وسيم قسيم، فالوسيم: الحسن الوضي، يقال: وسيم بين الوسامة،  
والقسيم: الحسن أيضاً، والقسامة: الحسن. والدعج: السواد في العين وغيرها.

وقولها: وفي أشفاره وطف أي: طول: يقال: وطف، فهو أوظف، ويروى عطف  
وعطف بالعين والغين جميعاً، والمراد منه الطول أيضاً.

وقولها: وفي صوته سهل، أي: حدة وصلابة، ومنه سهيل الخيل، وفي رواية  
صحل، أي: بحة وهو ألا يكون حاد الصوت، وذلك حسن إذا لم يكن شديداً.

وقولها: وفي عنقه سطم. أي: طول، يقال: رجل أسطم، وعنق سطماء: إذا  
كانت منتصبه، ومنه قيل للصبح أول ما ينشق مستطيلاً: سطم يسطم. وقولها:  
أزج أقرن، فالزجج في الحاجب: تقوس فيها مع طول في أطرافها، وسبوغ فيها،  
والقرن: إلتقاء الحاجبين. ويروى في صفته عليه السلام خلافه عند هند بن أبي  
هالة: أزج الحواجب، سوايع من غير قرن.

وقولها: إن تكلم، سما. تريد علا برأسه، وارتفع من جلسائه.

وقولها: في صفة منطقه: فصل، أي: بين. لا نزر ولا هذر، تريد: وسط ليس  
بقليل ولا كثير، فالنزر: القليل، والهدر: الكثير، وهو معنى صفته في حديث  
هند: يتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول ولا تقصير. وقولها: لا ياس من طول،  
معناه: أن قامته لا يؤيس من طولها، لأنه كان إلى الطول أقرب، أي: ليس  
بالطويل الذي يؤيس من مطاولته لإفراط طوله، كما في حديث أنس: ليس  
بالطويل البائن ولا بالقصير.

وقولها: ولا تقتحمه عين من قصر، أي: لا تحتقره ولا تزدره فيتجاوز منه إلى  
غيره، يقال: اقتحمت فلاناً عيني: إذا احتقرته واستصغرتة.

وقولها: محشود محفود. معناه: أن أصحابه يجتمعون عليه، ويخدمونه،  
ويسرعون في طاعته، يقال: رجل محشود عنده حشد من الناس، أي: جماعة،  
والمحفود: المخدوم، والحفدة: الخدم. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وجعل لكم  
من أزواجكم بنين وحفدة﴾ [النحل: ٧٢] أي: هم بنون وهم خدم، ويقال:  
الحفدة الأعوان، فأصله من حفد يحفد: إذا أسرع في سيره.

وقولها: لا عابِسٌ، معناه: غير عابِسِ الوجه. وقولها: ولا مُفَنِّدٌ وهو الذي لا فائدة في كلامه لخرَفِ أصابه، قال الله سبحانه وتعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام: ﴿لَوْ لَا أَنْ تُفَنِّدُون﴾ [يوسف: ٩٤] أي: تخرفوني، تقولون: قد خرفت، وفي الحديث: « ما ينتظر أحدكم إلا هراً مفنداً» أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وأخرجه الحاكم ٣٢٠/٤-٣٢١ وإسناده ضعيف، وفي رواية «ولا معتدٍ من الاعتداء» وهو الظلم. وقول الهاتِفِ في الشعر: فيالقُصَيِّ ما زوى الله عنكم. أي: باعدَ ونحَى عنكم من الخير والفضل.

وقوله: فتحلَّبْتُ عليه صريحاً. ويروى: فتحلَّبْتُ له بصريح، والصريحُ: اللبُّ الخالص الذي لم يُمدَّق، ومنه قولهم: صرَّحَ فلانٌ بالأمر: إذا كشفه وأوضحه. والضرَّةُ: لحم الضَّرع، أي: تحلَّبْتُ ضُرَّةَ الشاةِ بلبنٍ مزيد.

وقوله: فغادرها رهنًا لديها لحالب. يريد أنه ترك الشاةَ عندها مرتَهنةً بأن تُدرَّ. والصوتُ الذي سمِعوا بمكة بالشعر: صوت بعض مسلمي الجنِّ، أقبل من أسفل مكة، والناس يتبعونه يسمعون الصوت، وما يرونه حتى خرج بأعلى مكة. قالت أسماء: فلما سمعناه، عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وإنَّ وجهه إلى المدينة.

٣٥٣٩- عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ خَالَي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ وَكَانَ وَصَافًا عَنِ حَلِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا، فَقَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا، يَتَلَأَلُ تَلَأُلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ، وَأَقْصَرَ مِنَ الْمُسَدَّبِ، عَظِيمَ الْقَامَةِ، رَجُلَ الشَّعْرِ، إِنْ انْفَرَقَتْ عَقِيْقَتُهُ، فَرَقَ، وَإِلَّا فَلَا يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ، إِذَا هُوَ وَفْرَةٌ، أَزْهَرُ اللَّوْنِ، وَاسِعُ الْجَبِينِ، أَرْجُ الْحَوَاجِبِ، سَوَابِغُ مِنْ غَيْرِ قَرْنٍ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدْرِهُ الْغَضَبُ، أَقْنَى الْعِرْنَيْنِ، لَهُ

نُورٌ يَغْلُوهُ يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمٌّ، كَثُّ اللَّحْيَةِ، سَهْلُ الْخَدَّيْنِ،  
 ضَلِيعُ الْفَمِّ، مُفْلَجُ الْأَسْنَانِ، دَقِيقُ الْمَسْرُوبَةِ، كَانَ عُنُقُهُ جِيدٌ دُمِيَّةٌ فِي  
 صَفَاءِ الْفِضَّةِ، مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ، بَادِنٌ مَتَمَّاسِكٌ، سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ،  
 عَرِيضُ الصَّدْرِ، بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، ضَخْمُ الْكَرَادِيْسِ، أُنُورُ  
 الْمَتَجَرِّدِ، مُوَصَّلٌ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعْرٍ يَجْرِي كَالْحَطِّطِ، عَارِي  
 الثَّدْيَيْنِ وَالْبَطْنِ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، أَشْعَرُ الذَّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي  
 الصَّدْرِ، طَوِيلُ الزَّنْدَيْنِ، رَحْبُ الرَّاحَةِ، شُنُّ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ،  
 سَائِلُ الْأَطْرَافِ، أَوْ قَالَ: سَائِلُ الْأَطْرَافِ، خُمْصَانُ الْأَخْمَصَيْنِ،  
 مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ، يَتَّبِعُ عَنْهُمَا الْمَاءُ، إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعًا، يَخْطُو تَكْفِيًّا،  
 وَيَمْشِي هَوْنًا، ذَرِيْعُ الْمِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، فَإِذَا  
 التَّفَّتْ، التَّفَّتَ جَمْعًا، خَافِضُ الطَّرْفِ، نَظْرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مَنْ  
 نَظَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلَاحَظَةُ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ، يَبْدُرُ مَنْ  
 لَقِيَ بِالسَّلَامِ.

قَالَ الْحَسَنُ: سَأَلْتُ خَالِي، قُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
 قَالَ: مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ، دَائِمُ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، طَوِيلُ  
 السَّكْتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ،  
 وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَضْلٌ لَا فَضُولٌ وَلَا تَقْصِيرٌ، لَيْسَ بِالْجَافِي  
 وَلَا الْمَهِينِ، يُعْظَمُ النِّعْمَةَ، وَإِنْ دَقَّتْ، لَا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ  
 يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلَا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا وَمَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا  
 تُعَدِّي الْحَقُّ، لَمْ يَقُمْ بِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، لَا يُغْضِبُ لِنَفْسِهِ،  
 وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلْبَهَا، وَإِذَا

تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا، وَضَرَبَ بِرَاحَتِهِ الِئْمَنَى بَطْنَ إِنْهَامِهِ الِئْسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ.

قَالَ الْحَسَنُ: فَكَتَمْتُهُ الْحُسَيْنَ زَمَانًا، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، وَوَجَدْتُهُ قَدْ سَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِهِ، وَعَنْ مَخْرَجِهِ وَشَكْلِهِ، فَلَمْ يَدْعُ مِنْهُ شَيْئًا.

قَالَ الْحُسَيْنُ: فَسَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَاءً دُخُولُهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: جُزْءًا لِلَّهِ، وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جُزْءًا جَزَأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ، وَلَا يَدْخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا. وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الْأُمَّةِ إِثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِأَدَبِهِ وَقَسَمِهِ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ، فَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ، فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَسْغَلُهُمْ فِيمَا أَضْلَحَهُمْ وَالْأُمَّةُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْهُمْ وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ، وَيَقُولُ: «لِيَبْلِغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ ابْتِلَاغَهَا، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ ابْتِلَاغَهَا، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» لَا يُذَكِّرُ عِنْدَهُ إِلَّا ذَلِكَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ، يَدْخُلُونَ رُودَادًا، وَلَا يَفْتَرِقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ، وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً، يَعْنِي عَلَى الْخَيْرِ.

قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَخْرَجِهِ: كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ؟ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْزِنُ لِسَانَهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُفَرِّقُهُمْ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ، وَيُؤَلِّبُهُ عَلَيْهِمْ، وَيُحَذِّرُ النَّاسَ، وَيَخْتَرِسُ مِنْهُمْ مَنْ غَيْرَ أَنْ يَطْوِي عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بَشْرَهُ وَلَا خُلُقَهُ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ،

وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوِّمُهُ، وَيُفَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِّنُهُ، مُعْتَدِلُ الْأَمْرِ غَيْرٌ مُخْتَلِفٍ، يَعْقُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَعْفُلُوا أَوْ يَمِيلُوا، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عِتَادٌ، لَا يَقْصُرُ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا يُجَاوِزُهُ، الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ، أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعْمَهُمْ نَصِيحَتُهُ، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنَزَلَةٌ أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةٌ وَمُؤَازَرَةٌ.

قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَقُومُ وَلَا يَجْلِسُ إِلَّا عَنْ ذِكْرٍ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ، يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيحِهِ لَا يَحْسِبُ جَلِيسُهُ أَنْ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِمَّنْ جَالَسَهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا بِهَا، أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ، قَدْ وَسَّعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرْمُ يَتَعَاطُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى مُتَوَاضِعِينَ، يُوقَرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ، وَيُؤَثِّرُونَ ذَا الْحَاجَةِ، وَيَحْفَظُونَ الْغَرِيبَ.

قَالَ الْحُسَيْنِ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جُلَسَائِهِ، فَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ دَائِمَ الْبِشْرِ، سَهْلَ الْخُلُقِ لَيْنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَحَابٍ، وَلَا فَحَاشٍ، وَلَا عِيَابٍ، وَلَا مَدَّاحٍ، يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي، وَلَا يُؤَيِّسُ مِنْهُ، وَلَا يُجِيبُ فِيهِ، قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ: الرِّيَاءَ وَالْإِكْتَارَ، وَمَا لَا يَغْنِيهِ، وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلَاثٍ: لَا يَذُمُّ أَحَدًا وَلَا يَعْيبُهُ، وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ، لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا رَجَا ثَوَابَهُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ، أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ، كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَإِذَا سَكَتَ،

تَكَلَّمُوا، لَا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ الْحَدِيثَ، مَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ، أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ، حَدِيثُهُمْ عِنْدَهُ حَدِيثٌ أَوْلِيَّتِهِمْ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسْأَلَتِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ أَصْحَابُهُ لَيَسْتَجْلِبُونَهُمْ، وَيَقُولُ: «إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ حَاجَةٍ يَطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ» وَلَا يَقْبَلُ الشَّاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِيءٍ، وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَ، فَيَقْطَعُهُ بِنَهْيِ أَوْ قِيَامِ. وَقَالَ غَيْرُ سُفْيَانَ بْنِ وَكَيْعٍ عَنْ جُمَيْعٍ: وَإِذَا غَضِبَ، أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ، غَضَّ طَرْفَهُ، جُلَّ ضِحْكِهِ التَّبَسُّمُ، وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبَّةِ الْغَمَامِ.

أخرجه الترمذي في مواضع متفرقة من «الشمائل» (٨، ٢٢٦، ٣٣٧) وإسناده

ضعيف لضعف سفیان بن وکیع، وجميع بن عمير وفيه مجهولان.

٣٥٤٠- عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ، فَسَاقَ الْحَدِيثَ وَقَالَ: كَانَ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ، لَا يُوطِنُ الْأَمَاكِينَ، وَيَنْهَى عَنِ إِطْطَانِهَا، وَقَالَ: لَا يَحْسِبُ أَحَدٌ مِنْ جُلَسَائِهِ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمَ مِنْهُ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ لِحَاجَةٍ صَابِرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ، وَقَالَ: وَلَا تُؤْبِنُ فِيهِ الْحُرْمُ، وَلَا تُنْشَى فَلَتَاتُهُ، مُعْتَدِلِينَ يَتَوَاصُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى. وَقَالَ: قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ: الْمِرَاءِ وَالْإِكْثَارِ وَمَا لَا يَغْنِيهِ. وَزَادَ فِي آخِرِهِ قَالَ: فَسَأَلْتُهُ: كَيْفَ كَانَ سُكُوتُهُ؟ قَالَ: كَانَ سُكُوتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى الْحِلْمِ وَالْحَذَرِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّفْكِيرِ، فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ، فَفِي تَسْوِيَّتِهِ النَّظَرَ وَالِاسْتِمَاعَ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَمَّا تَفْكِيرُهُ، فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى، وَجُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ وَالصَّبْرُ، فَكَانَ لَا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ وَلَا يَسْتَفْرِهُ،

وَجُمِعَ لَهُ الْحَذَرُ فِي أَرْبَعَةٍ: أَخَذَهُ بِالْحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ، وَتَرَكَهُ الْقَبِيحَ لِيَسْتَنَاهَى عَنْهُ، وَاجْتِهَادِهِ الرَّأْيِي فِيمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ، وَالْقِيَامِ فِيمَا خَيْرَ لَهُمْ فِيمَا يَجْمَعُ لَهُمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي»: ١٨ وإسناده ضعيف كسابقه.

قوله: كان فخماً مفخماً. أي: كان عظيم القدرٍ مُعظماً في الصدور والعيون، ولم يُرِدْ به ضخامة الجسم. قال أبو عبيدٍ: الفخامة نُبْلُهُ وامتلاؤه مع الجمال والمهابة.

قوله: أطول من المربع. المربع والرَّبْعَةُ: هو الرجل بين الرَّجُلَيْنِ، والمشدَّبُ: الطويل البائن الطول، وأصل التشذيب: التفريق، يقال: شدَّبْتُ المالَ: إذا فرَّقْتَهُ، فالمفرط في الطول، كأنه فرَّقَ خَلْقَهُ ولم يجتمع.

قوله: إن انفردت عقيقته، فرَّق. فالعقيقة: اسمٌ للشعر الذي يخرج المولود من بطن أمه وهو عليه، سُمِّيَ عقيقةً، لأنه يُحَلَقُ، وأصل العق: الشقُّ والقطعُ، ومنه قيل للذبيحة التي تذبح عند الولادة: عقيقةً، لأنه يُشَقُّ حُلُقُومِهَا، ثم قيل للشعر الذي ينبت بعد ذلك الشعر: عقيقة أيضاً على طريق الاستعارة، وذلك معناه ها هنا، يقول: إن انفرد شعرُ رأسه من ذات نفسه، فرقه في مفرقه، وإن لم ينفرق، تركه وفرةً واحدةً على حالها، يقال: فرقت الشيءَ أفرقه فرقاً. وقيل: العقيقة اسمٌ للشعر قبل أن يُحَلَقَ، فإذا حُلِقَ ثم نبت. زال عنه اسم العقيقة، وسُمِّيَ شعره عليه السلام عقيقةً، لأنَّ عقيقته كانت على رأسه لم يُنْقَلْ أنه كان قد حُلِقَ في صباه. ويُروى: إن انفردت عقيصته، فرَّق، والعقيصة: الشعر المعقوص، وهو نحو من المصفور، والوفرة: الشعرُ إلى شحمة الأذن، والجمَّةُ إلى المنكب، واللَّمَّةُ: التي ألمَّت بالمنكبين.

قوله: أزهر اللون، أي: تير اللون، والزُّهرة: البياض النير وهو أحسن الألوان. وقوله: بينهما عزقٌ يدُرُّه الغضب. يعني بين حاجبيه عزقٌ يمتلىءُ دماً إذا

غَضِبَ، يقال: دَرَّتْ العروق: إذا امتلأت دماً، كما يقال: دَرَّ الضَّرْع إذا امتلأ لبناً.

قوله: كَثُ اللحية. الكثوثة فيها: أن تكون غير دقيقة ولا طويلة، ولكن فيه كثافة. وقوله: ضليع الفم. يقال: عظيم الفم، والعرب تحبُّ ذلك، وتذمُّ صِغَرَ الفم، ومنه قوله في وصف كلامه: يَفْتَحُ الكلامَ، ويختتمه بأشداقه، وقيل في ضليع الفم شدة أسنانه وتراصفها.

وقوله: مُفْلَجُ الأسنان. أراد أفلج الأسنان، والفلج: فُرْجَةٌ بين الشايا والرُّبَاعِيَّاتِ.

وقوله: دَقِيقُ المِسْرَبِيَّةِ، فالمسربةُ: الشَّعْرُ المَسْتَدِيقُ ما بين اللَّبَّةِ إلى السُّرَّةِ، كما ذكر بعده مُوصَلٌ ما بين اللَّبَّةِ بشعرٍ يجري كالخطِّ.

قوله: عاري الثدين، ويروى: عاري الشَّدَوَتَيْنِ. يريد أنه لم يكن على ذلك الموضع منه شعراً، وقيل: أراد أنه لم يكن عليهما كثير لحم، والشَّدَوَةُ للرجل كالثدي للمرأة من ضَمَّ الثاء منها همزها، ومن فتحها، لم يهجز الواو.

وقوله: كَأَنَّ عُنُقَهُ جَيْدٌ دُمِيَّةٌ. الدُمِيَّةُ: الصورة المصوَّرةُ، وجمعها دُمَى. وقوله: بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ. أي: معتدلُ الخَلْقِ يُمَسِّكُ بعضُ أعضائه بعضاً، ليس المراد منه بدانة السَّمَنِ، ولا ضخامة البدنِ بدليل قوله: سَوَاءُ البطنِ والصدرِ. ضخم الكراديس أي: الأعضاء.

وقوله: أنورُ المتجردِ، أي: مُشْرِقُ الجَسَدِ، والمتجردُ من جسده: الذي تجرَّدَ عنه الثيابُ، والأنورُ: النيرُ، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أي: هَيِّنٌ عليه، رَحْبُ الرَّاحَةِ: واسع الكَفِّ. شَتْنُ الكَفِّينِ: غليظهما.

قوله: سائلُ الأطرافِ أي: ممتدُّ الأصابع وهي بالسَّيْنِ غير المعجمة، ورواه بعضهم «سايِن» بالنون، ومعناها واحدٌ، مثل جبريل وجبرين.

وقوله: حُمْصَانُ الْأَحْمَصِينَ، الْأَحْمَصُ مِنَ الْقَدَمِ: الَّذِي لَا يَلْصِقُ بِالْأَرْضِ فِي الْوَطءِ مِنْ بَاطِنِهَا، أَرَادَ أَنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ مِنْ رِجْلِهِ كَانَ شَدِيدَ التَّجَافِي عَنِ الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ «أَزْوَحَ» وَهُوَ الَّذِي يَسْتَوِي بِاطْنِ رِجْلِهِ. وَسُمِّيَ الْأَحْمَصُ أَحْمَصَ لُضْمُورِهِ، وَدَخُولِهِ فِي الرَّجْلِ. قَوْلُهُ: مَسِيحُ الْقَدَمِينَ. يَرِيدُ اسْتِوَاءَهُمَا مِنْ غَيْرِ وَسَخٍ، وَلَا شُقَاقٍ، وَلَا تَكْسُرٍ فِيهِمَا فَإِذَا أَصَابَهُمَا الْمَاءُ، نَبَا عَنْهُمَا، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْمَلَاةَ وَاللِّينَ.

قوله: إِذَا زَالَ، زَالٌ قَلِعًا. بِفَتْحِ الْقَافِ وَكسْرِ اللَّامِ يَرِيدُ: يَرْفَعُ رِجْلِيهِ رَفْعًا بَاطِنًا يَخْطُو تَكْفِيًا، وَيُرَوِّى تَكْفُؤًا، فَالانْحِدَارُ مِنَ الصَّبِّبِ. وَالتَّكْفُؤُ إِلَى قَدَامٍ، وَالتَّقْلُعُ مِنَ الْأَرْضِ قَرِيبٌ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَرَادُ مِنْهُ الْقُوَّةُ فِي الْمَشْيِ بِرَفْعِ الرَّجْلَيْنِ، وَامْتِدَادِ الْخَطَى، لَا كَمَنْ يَمْشِي مَخْتَلًا، وَهِيَ الْمِشْيَةُ الْمَحْمُودَةُ لِلرِّجَالِ.

وقوله: ذَرِيعُ الْمِشْيَةِ، أَي: سَرِيعُ الْمَشْيِ، وَاسِعُ الْخَطْوِ، وَلَمْ يَكُنْ بِحَيْثُ يَتَبَيَّنُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ اسْتِعْجَالٌ وَمِبَادَرَةٌ شَدِيدَةٌ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: وَيَمْشَى هَوْنًا. وَالهُونُ مَعْنَاهُ: التَّرْفُقُ وَالتَّثَبُّتُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] قَالَ مَجَاهِدٌ: بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا لَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرَبٍ.

وقوله: إِذَا التَفَّتْ التَّفَّتَ جَمْعًا، وَيُرَوِّى: جَمِيعًا، يَرِيدُ: لَا يَلْوِي عَنْقَهُ يُمَنَّةً وَيُسْرَةً نَاطِرًا إِلَى الشَّيْءِ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الطَّائِشُ الْخَفِيفُ، وَلَكِنْ يُقْبَلُ جَمِيعًا، وَيَدْبِرُ جَمِيعًا. قَوْلُهُ: جُلُّ نَظَرِهِ الْمَلَاظِمَةُ وَهُوَ أَنْ يَنْظُرَ الرَّجُلُ بِلِحَازِ عَيْنِهِ إِلَى الشَّيْءِ شَزْرًا، وَهُوَ شَقُّ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الصَّدْعَ، فَأَمَّا الَّذِي يَلِي الْأَنْفَ، فَهُوَ الْمَوْقُ وَالْمَاقُ، يُقَالُ: لَحَظَ إِلَيْهِ وَلَحَظَهُ: إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ.

قوله: يَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ. يَرِيدُ: كَثِيرِ الْمَعَانِي، قَلِيلِ الْأَلْفَاظِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَوْتَيْتَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٠١٣) وَقِيلَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: «أَوْتَيْتَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ» يَعْنِي الْقُرْآنَ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِلُطْفِهِ فِي الْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ مِنْهُ مَعَانِي كَثِيرَةً.

قوله: ليس بالجافي، ولا المَهين، أي: ليس بالغليظ الخَلقة، ولا المحتقر، كما قال أنس: ليس بالطويل البائن، ولا القصير. وفي رواية علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام: ليس بالطويل الممغَّط، ولا القصير المتردَّد. ويروى: ولا المُهين برفع الميم، فيكون معناه: ليس بالذي يجفو أصحابه ويهينهم.

وقوله: لم يكن يذمُّ ذواقاً. أي: شيئاً مما يُذاق ويقع على المأكول والمشروب فعالٌ بمعنى مفعولٍ.

وقوله: إذا غضب، أعرض وأشاح، أي: أقبل. وقوله: ثم جزأً جزأه بينه وبين الناس فيردّ ذلك بالخاصة على العامة. معناه: أن العامة لا تصلُّ إليه في هذا الوقت، بل يدخل عليه الخاصة، ثم تخبر العامة بما سمعت من العلوم منه، فكأنه عليه السلام أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة. وقيل: قوله بالخاصة، أي: من الخاصة، أي: يجعل وقت العامة بعد الوقت الذي يخصُّ به الأهل، فإذا انقضى ذلك الزمان، ردَّ الأمر من الخاصة إلى العامة، فأفادهم.

قوله: يدخلون رؤّاداً. جمع رائد وهو الطالب، أي: يدخلون عليه طالبين العلم، وملتمسين الحكم من جهته.

قوله: ولا يفترقون إلا عن ذواق. أصل الذواق من الطعم، ولكن ضربه مثلاً لما ينالون عنده من الخير، قيل: أراد لا يفترقون إلا عن علم يتعلمونه يقوم لهم مقام الطعام والشراب.

وقوله في وصف مجلسه «لا تُؤنَّبُ فيه الحُرْم» أي: لا تذكرن بقييح، كان مجلسه مصوناً عن رفث القول، وفحش الكلام، ومنه قوله عليه السلام في حديث الإفك المتفق عليه: «أشيروا عليّ في أناس أبناوا أهلي» أي: اتهموها، والأبْنُ: التهمة، يقال: أبْنُ يَأبِنُ: إذا اتهم.

قوله: «لا يقبل الثناء إلا من مكافئ» قال القتيبي: معناه: أنه إذا أنعم على رجلٍ نعمةً، فكافأه بالثناء عليه، قيلَ منه، وإذا أثنى عليه قبل أن يُنعم عليه، لم

يقبله. قال أبو بكر الأنباري: هذا غلط، لأن أحداً لا ينفك من إتمام رسول الله ﷺ إذ الله يعثه إلى الناس كافة، ورحم به، وأنقذ به، فنعمته سابقة إليهم، لا يخرج منها مكافىء، ولا غير مكافىء، هذا فالثناء عليه فرض لا يتم الإسلام إلا به، وإنما المعنى أنه كان لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقة إسلامه، ولا يدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فإذا كان المشي عليه بهذه الصفة، قبل ثناؤه، وكان مكافئاً ما سلف من نعمة النبي ﷺ عنده. قال الأزهرى: وفيه قول ثالث إلا من مكافىء، أي: مقارن في مدحه غير مجاوز به حد مثله، ولا مقصّر به عمّا رفعه الله إليه، ألا ترى أنه يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله» أخرجه البخاري (٦٨٣٠) فإذا قيل: نبي الله ورسوله، فقد وُصف بما لا يجوز أن يوصف به أحد من أمته، فهو مدح مكافىء له.

وقوله: ولا تُثنَى فلناتُهُ. أي: لا تزدع ولا تُشاع فلناتُهُ، أي: زلاتُهُ، معناه: لم يكن في مجلسه فلناتٌ فُتِنَتِي.

قوله: يَفْتَرُّ عن مثل حبّ الغمام. يريد أنه يكثُر حتى تبدو أسنانه من غير قهقهة، من قولك: فرزت الذّابة أفرّها: إذا كشفت عن أسنانها لتعرفها. وأراد بحبّ الغمام: البرد شبه به بياض أسنانه.

٣٥٤١- عن عمر بن عبد الله مولى غفرة، حدّثني إبراهيم بن مُحَمَّدٍ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا وَصَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمَمْعَطِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ، كَانَ رُبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ، لَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ، وَلَا بِالسَّبِطِ، كَانَ جَعْدًا رَجُلًا، وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ، وَلَا بِالْمُكَلِّثِ، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ أبيضٌ مُشْرَبٌ، أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبُ الْأَشْفَارِ، جَلِيلُ الْمَشَاشِ وَالْكَتْدِ، أَجْرَدٌ، ذُو مَسْرَبَةٍ، شَتْنُ الْكَفَيْنِ

وَالْقَدَمَيْنِ، إِذَا مَشَى، تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ فِي صَبَبٍ، وَإِذَا التَّفَّتَ، التَّفَّتَ مَعًا، بَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتِمُ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ، أَجْوَدُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَأَاهُ بِدَيْهَةٍ هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ. يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

أخرجه الترمذي (٣٦٣٨) وفي «الشمائل» (٧) بسند ضعيف لضعف عمر بن عبدالله وكثرة إرساله. وأيضاً فإن إبراهيم بن محمد لم يسمع من جدّه علي رضي الله عنه.

قال أبو عيسى: سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول: سمعت الأصمعي في تفسير صفة النبي ﷺ الممغط: الذاهب طولاً بالغين المعجمة، وقيل بالعين والغين جميعاً، يقال: امغط النهار: إذا امتدّ، وامغط الجبل وامغط، والمتردد: الداخِل بعضه في بعض قصرًا، وأما القَطَطُ، فشديد الجُعودَةِ، والرَّجْلُ: الذي في شعره حجونةٌ، أي: تنني قليلاً، والمطهّم: البادن الكثير اللحم، والمكلثم: المدوّر الوجه يقول: ليس كذلك، ولكنه مسنون، وقيل: المكلثم من الوجوه القصير الحنك، الدّاني الجبهة، المستدير الوجه، ولا يكون إلا مع كثرة اللحم. والمُشْرَبُ: الذي في بياضه حُمْرَةٌ، والأذعج: الشديد سواد العين، والأهدب: الطويل الأشفار، والكتيد: مجتمع الكتفين وهو الكاهل والمسرّبة: هو الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة. والشن: الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين. والتقلع: هو أن يمشي بقوة، والصّيب: الحدور. جليل المشاش: يريد عظيم رؤوس المناكب والعظام، والمشاش: رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين. والعشرة: الصحبة، والعشير: الصاحب، والبديهة: المفاجأة تقول: بدّهته بأمر: فجأته.

## بابُ

### علامات النبوة

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]. قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي «الْأُمَّ» ٩٣/٤: فَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ رَسُولَهُ عَلَى الْأَذْيَانِ بِأَنْ أَبَانَ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَمَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْأَذْيَانِ بَاطِلٌ، وَأَظْهَرَهُ بِأَنْ جَمَعَ الشَّرْكَ دِينَانِ: دِينَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَدِينَ أُمَّيِّينَ، فَقَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْأُمَّيِّينَ حَتَّى دَانُوا بِالْإِسْلَامِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَسَبَى حَتَّى دَانَ بَعْضُهُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَأَعْطَى بَعْضَ الْجَزِيَّةِ صَاغِرِينَ، وَجَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهَذَا ظُهُورُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. قَالَ: وَيُقَالُ: وَيُظْهِرُ دِينَهُ عَلَى الْأَذْيَانِ كُلِّهَا حَتَّى لَا يُدَانَ اللهُ إِلَّا بِهِ، وَذَلِكَ مَتَى شَاءَ اللهُ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨] يَغْنِي نَبَأَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ عَاشَ عِلْمَهُ لِظُهُورِهِ، وَتَمَامِ أَمْرِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣] وَمَنْ مَاتَ، عِلْمَهُ يَقِينًا.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

جَعَلَ اللهُ الْقُرْآنَ دِلَالَةً عَلَى نُبُوَّتِهِ، أَعْجَزَ الْخَلْقَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ،  
أَوْ مِثْلِ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَأَبْقَاهُ فِي أُمَّتِهِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لِيَكُونَ  
حُجَّةً عَلَى مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِمَّنْ لَمْ يَرَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٣٥٤٢- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ  
الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ، فَصَرَعهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً،  
فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ  
زَمْزَمَ، ثُمَّ لَامَهُ وَأَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ  
يَعْنِي ظَهْرَهُ، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَفِعُ  
اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: فَكُنْتُ أَرَى أَثَرَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ وَرَبُّمَا قَالَ  
حَمَادٌ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ آتٌ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٢) (٢٦١).

قوله: مُنْتَفِعُ اللَّوْنِ. يقال: انْتَفَعَ لَوْنُهُ وَاْمْتَفَعَ وَاْبْتَسَرَ بمعنى واحد. وقوله  
سبحانه وتعالى: ﴿وَجِوَةٌ يَوْمَئِذٍ بِاسْرَةٍ﴾ [القيامة: ٢٤] أي: مُتَكْرِهَةٌ مُقْطَبَةٌ.

٣٥٤٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنِّي لِأَعْرِفُ  
حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، وَإِنِّي لِأَعْرِفُهُ الْآنَ.

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٢٧٧) وَفِي هَذَا مَعْجَزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ اللهِ  
ﷺ، وَقَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى إِثْبَاتِ التَّمْيِيزِ فِي بَعْضِ الْجَمَادَاتِ.

٣٥٤٤- عَنْ عَلِيٍِّّ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَرُحْنَا فِي  
نَوَاحِيهَا خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ بَيْنَ الْجِبَالِ وَالشَّجَرِ، فَلَمْ يَمُرَّ بِشَجَرَةٍ وَلَا  
جَبَلٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

هذا حديث غريبٌ أخرجه الترمذي (٣٦٣٠) وفي سنده ضعيفٌ ومجهولٌ.

٣٥٤٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا.

هذا حديثٌ صحيحٌ متفقٌ عليه أخرجه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

قال جماعةٌ من المنكرين على هذا الحديث: هذا أمرٌ عجيبٌ، ولو كان له حقيقةٌ، لم يخفَ ذلك على العوامِّ، ولتناقلته القرون، ولخُلدَ ذِكْرُهُ في الكتب، وذَكَرَهُ أَهْلُ العنَايةِ بالسَّيرِ والتَّوَارِيخِ.

قيل لهم: هذا شيءٌ طلبه قومٌ خاصٌّ على ما حكاه أنسٌ، فأراهم ذلك ليلاً وأكثر الناسِ نياماً، ومستكثون بالآبنية والأيقاظ في البوادي، والصحاري قد يتفق أن يكونوا مشاغلياً في ذلك الوقت، وقد يُكسَفُ القمر، فلا يشعر به كثيرٌ من الناس، وإنَّما كان ذلك في قَدْرِ اللحظة التي هي مُدرك البصر، ولو دامت هذه الآية حتى يشترك فيها العامةُ والخاصة، ثم لم يؤمنوا، لاستؤصلوا بالهلاك، فإنَّ من سنة الله تعالى في الأمم قبلنا أنَّ نبيهم كان إذا أتى بآية عامَّةٍ يُدركها الحسنُ، فلم يؤمنوا أهلِكوا، كما قال الله سبحانه وتعالى في المائدة: ﴿إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥] فلم يظهر الله سبحانه وتعالى هذه الآية للعامة لهذه الحكمة. والله أعلم وله الحمد.

٣٥٤٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ قِبَلْتِي هَاهُنَا، فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ، وَلَا رُكُوعُكُمْ، إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤١٨)، ومسلم (٤٢٤).

قال المازري في «المعلم» ٢٦٦/١: قال بعض المتكلمين: يمكن أن يكون خلق الباري إدراكاً في قفاه ﷺ أبصر به مَنْ وراءه، وقد انخرقت له العادة بأكثر من هذا فلا يستنكر هذا، وإنما يستنكر هذا المعتزلة لأنها تشترط في خلق الإدراك بنية مخصوصة.

٣٥٤٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ الْمَاءُ فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ» فَجَاؤُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهْوَرِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةِ مِنَ اللَّهِ» فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ، وَهُوَ يُؤْكَلُ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

٣٥٤٨- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِإِنَاءٍ، وَهُوَ بِالزُّورَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ. قَالَ فَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثٌ مِئَةٌ أَوْ زُهَاءٌ ثَلَاثِ مِئَةٍ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (٢٢٧٩).

وهذه آية ومعجزة، وقيل: هذا أبلغ من تفجير الماء من الحجر لموسى عليه السلام، لأن في طبع الحجارة أن يخرج منها الماء، وليس في طباع أعضاء بني آدم ذلك.

٣٥٤٩- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ رَسُولُ

الله ﷺ: «مَا لَكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ مِنْهُ، وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَقُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ قَالَ: فَشَرَبْنَا وَتَوَضَّأْنَا فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِئَةَ أَلْفٍ لَكَفَّانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً.

هذا حديث متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).

الركوة: إناءٌ صغير من جلد يُشْرَبُ فيه. وهذه الأحاديث من أدلِّ شيءٍ على صدق النبوة، فإن هذه المعجزات قد حدثت في المواطنِ الحفلةِ والجموعِ الكثيرة ولا تتطرق التهمة إلى المحدث بها، لأنهم كانوا أسرع شيءٍ إلى تكذيبه لما جُبلت عليه النفوس من ذلك، ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل، فهؤلاء قد رَوَوْا هذا وأشاعوه. ونسبوا حضورَ الجماءِ الغفير له، ولم ينكر أحدٌ من الناس عليهم ما حدَّثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه، فصار كتصديق جميعهم له. أفاده القاضي عياض في «الشفاء» ٢٥٤/١.

٣٥٥٠- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي جَيْشٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، تَخَلَّفَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، وَتَخَلَّفَتْ مَعَهُ بِمِضْأَةٍ، وَهِيَ الْإِدَاوَةُ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ جَاءَنِي فَسَكَبْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمِضْأَةِ، فَتَوَضَّأَ، وَقَالَ لِي: «أَحْفَظْهَا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ لِبَقِيَّتِهَا شَأْنٌ» قَالَ: وَسَارَ الْجَيْشُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْفُقُوا بِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ يَعْصُوهُمَا، يَشْفُقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ» قَالَ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَشَارَا عَلَيْهِمْ أَلَّا يَنْزِلُوا حَتَّى يَبْلُغُوا الْمَاءَ، وَقَالَ بَقِيَّةُ النَّاسِ: بَلْ نَنْزِلُ حَتَّى يَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَتَزَلُّوا، قَالَ: فَجِئْنَاهُمْ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، وَقَدْ هَلَكُوا مِنَ الْعَطَشِ فَدَعَا النَّبِيُّ

ﷺ بِالْمِيضَاءِ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَاسْتَأْطَبَهَا، ثُمَّ جَعَلَ يَصُبُّ لَهُمْ، فَشَرِبُوا حَتَّى رَوُوا وَتَوَضَّؤُوا، وَمَلَّؤُوا كُلَّ إِنَاءٍ كَانَ مَعَهُمْ حَتَّى جَعَلَ يَقُولُ: «هَلْ مِنْ مَالٍ؟» قَالَ: فَخَيْلٌ إِلَيَّ أَنَّهَا كَمَا أَخَذَهَا، وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا.

إسناده صحيح، أخرجه أحمد (٢٢٥٧٥) بنحوه وبأطول منه، وأخرجه مسلم (٦٨١).

قوله: «هل من مالٍ» أي: هل من مالىء حذف الهمزة تخفيفاً.

٣٥٥١- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: سَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: فَأَصَابَهُمْ عَطَشٌ شَدِيدٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ: أَحْسِبُهُ عَلِيًّا وَالرُّبَيْرِ أَوْ غَيْرَهُمَا، فَقَالَ: إِنَّكُمَا سَتَجِدَانِ امْرَأَةً بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ، فَأَتَيْتَانِي بِهَا، قَالَ: فَأَتَيْتَا الْمَرْأَةَ، فَوَجَدَاهَا قَدْ رَكِبَتْ بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ عَلَى الْبَعِيرِ فَقَالَا لَهَا: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: وَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ؟ هَذَا الصَّابِيُّ! قَالَا: هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَقًّا فَجَاءَا بِهَا، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجُعِلَ فِي إِنَاءٍ مِنْ مَزَادَتَيْهَا، ثُمَّ قَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ أَعَادَ الْمَاءَ فِي الْمَزَادَتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَ بِعِزْلَاءِ الْمَزَادَتَيْنِ، فَفُتِحَتْ، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ، فَمَلَّؤُوا آبِيَتَهُمْ وَأَسْقَيْتَهُمْ، فَلَمْ يَدْعُوا يَوْمَئِذٍ إِنَاءً وَلَا سِقَاءً إِلَّا مَلَّؤُوهُ. قَالَ عِمْرَانُ: حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهَا لَمْ تَزِدْ إِلَّا امْتِلَاءً، قَالَ: فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِثُوبِهَا فَبَسِطَ، ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ، فَجَاؤُوا مِنْ زَادِهِمْ حَتَّى مَلَأَ لَهَا ثُوبَهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: «أَذْهَبِي فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكَ شَيْئًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَقَانَا» فَجَاءَتْ أَهْلَهَا، فَأَخْبَرَتْهُمْ،

فَقَالَتْ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَسْحَرِ النَّاسِ، أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَقًّا، فَجَاءَ أَهْلُ ذَلِكَ الْجَوَاءِ حَتَّى أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢).

والمزادة: التي يسميها الناس الرّأوية، والرّأوية: البعير الذي يسقى عليه، وهذه هي المزادة، والسطيحة نحو المزادة غير أنها أصغر من المزادة، فهي من جلدَيْن، والمزادة أكبر. والصابيء عند العرب: الذي خرج من دينٍ إلى دينٍ، وكان المشركون يقولون لمن أسلم: قد صَبَا فلانٌ. والعزلاء: هي فم المزادة الأسفل، يخرج الماء منه خروجاً واسعاً. والجِواء: بيوتٌ مجتمعة على ماءٍ، وجمعها أحويةٌ.

وفي الحديث دليلٌ على أن أواني المشركين على الطهارة ما لم يُعلم نجاستها، وفيه أن أخذ ماءٍ الغير يجوز عند ضرورة العطش بالعوض، وقد أعطاه النبي ﷺ من الزاد ما كان عوضاً عن مائها.

٣٥٥٢- عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ الثَّقَفِيِّ قَالَ: ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ رَأَيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَهُ إِذْ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَى عَلَيْهِ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَاهُ الْبَعِيرُ، جَرَجَرَ فَوَضَعَ جِرَانَهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ؟» فَجَاءَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِعْنِيهِ» قَالَ: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ «بَلْ بِعْنِيهِ» قَالَ: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ فَإِنَّهُ لِأَهْلِ بَيْتِ مَالِهِمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ، قَالَ: «أَمَا إِذَا ذَكَرْتَ هَذَا مِنْ أَمْرِهِ، فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ، وَفَلَةَ الْعَلْفِ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ».

قال: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشُقُّ الْأَرْضَ حَتَّى غَشِيَتْهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَكَانِهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنْتِ رَبَّهَا فِي أَنْ تُسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَأَذِنَ لَهَا».

قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا فَمَرَرْنَا بِمَاءٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا بِهِ جِنَّةٌ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنْخِرِهِ، ثُمَّ قَالَ «أَخْرِجْ إِنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا، فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ سَيْرِنَا، مَرَرْنَا بِذَلِكَ الْمَاءِ، فَأَتَتْهُ الْمَرْأَةُ بِجُزُرٍ وَلَبَنٍ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرُدَّ الْجُزُرَ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ، فَشَرَبُوا اللَّبَنَ، فَسَأَلَهَا عَنِ الصَّبِيِّ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ رَيْبًا بَعْدَكَ.

حديث حسن بطرقه وشواهده، أخرجه أحمد (١٧٥٤٨) و(١٧٥٤٩) و(١٧٥٥٩) و(١٧٥٦٣-١٧٥٦٥)، وابن أبي شيبة ١١/٤٨٨-٤٩٠، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/٢٠-٢٤، والحاكم ٢/٦١٧-٦١٨، وبعضهم يزيد فيه على بعض، وللبعض الحديث شواهد يصح بها، انظر «المسند».

قوله: جَرَجَر، أي: صَوَّت، والجِرَان: باطن عنق البعير.

٣٥٥٣- عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال: خَفَّتْ أَرْوَادُ الْقَوْمِ، وَأَمْلَقُوا، فَاتُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي نَحْرِ إِبِلِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَلَقِيَهُمْ عُمَرُ، فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: مَا بَقَاؤُكُمْ بَعْدَ إِبِلِكُمْ؟ فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَقَاؤُهُمْ بَعْدَ إِبِلِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَادِ فِي النَّاسِ يَأْتُونَ بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ» فَبَسَطَ لِذَلِكَ نِطْعًا، وَجَعَلُوهُ عَلَى النَّطْعِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا وَبَرَكَ عَلَيْهِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ بِأَوْعِيَّتِهِمْ، فَأَخْتَشَى النَّاسُ حَتَّى فَرَّغُوا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٧) من رواية الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد، شك الأعمش معناه، وقال: في غزوة تبوك، وقال:

اجتمع على النُّطع شيءٌ يسيرٌ، فدعا النبي ﷺ بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاءٌ إلا ملؤوه قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضلتُ فضلةً، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيحجب عن الجنة».

واحتجَّ به البخاري (٢٤٨٤) في النهدي في الطعام، في جواز قِسمة ما يُكال ويوزن مجازفةً، وقبضة قبضةً.

٣٥٥٤- عن الزهري قال: أخبرني أنسُ بنُ مالكٍ أن رسولَ الله ﷺ خرج حينَ زاعتِ الشمسِ، فصلى الظهرَ، فلَمَّا سَلِمَ، قامَ على المنبرِ، فذَكَرَ السَّاعَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُورًا عِظَامًا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَن شَيْءٍ، فَلْيَسْأَلْ عَنهُ، فَإِنَّهُ لَا تَسْأَلُونِي عَن شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا» قَالَ أَنَسُ: فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي سَلُونِي» قَالَ أَنَسُ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيْنَ مَدْخَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «النَّارُ» وَقَالَ: فَقَامَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ، فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ أَبُوكَ حُدَافَةَ، ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي» قَالَ: فَبَرَكَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، قَالَ: فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَنْفَاءً فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ، وَأَنَا أَصَلِّي، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ».

قال الزُّهري: وأخبرني عبدُ اللهِ قال: قالت أمُّ عبدِ اللهِ بنِ حُدَافَةَ: ما رأيتُ ابناً أعقَّ منك، أكنْتُ تأمَنُ أن تكونَ أمُّكَ قد قارفتَ بعضَ

مَا قَارَفَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ فَتَفْضَحَهَا عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَوْ  
الْحَقَنِي بِعَبْدِ أَسْوَدَ لِلْحِقَّةِ .

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٥٤٠)، ومسلم (٢٣٥٩).

وفي الحديث من الآداب : مراقبة الصحابة أحوال النبي ﷺ وشدة إشفاقهم إذا  
غضب . والنهي عن كثرة السؤال ، وعن سؤال ما لا عمل تحته . وفيه جواز  
الغضب في الموعظة .

٣٥٥٥- عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن  
مالك يقول : قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ : لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ ضَعِيفًا أَعْرَفُ فِيهِ الْجُوعَ ، فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ ،  
فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ، ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَارًا لَهَا ، فَلَقَّتْ الْخُبْزَ  
بِبَعْضِهِ ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدَيْ ، وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ ، ثُمَّ أَرْسَلْتَنِي إِلَى  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَذَهَبْتُ بِهِ ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي  
الْمَسْجِدِ ، وَمَعَهُ النَّاسُ ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
«أَرْسَلْتُكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» قَالَ : فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : «لِطَعَامٍ؟» فَقُلْتُ :  
نَعَمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ : «قَوْمُوا» . قَالَ : فَاَنْطَلَقَ  
وَاَنْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، قَالَ أَبُو  
طَلْحَةَ : يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا  
نُطْعِمُهُمْ . فَقَالَتْ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَاَنْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى  
لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ ، فَقَالَ :  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «هَلْمِي مَا عِنْدَكَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ ،  
فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَفَتَّ ، وَعَصَرَتْ أُمَّ سُلَيْمٍ عُكَّةً لَهَا فَأَادَمَتْهُ ،

ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «اِئْذَنْ لِعَشْرَةٍ»  
فَإِذَنْ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «اِئْذَنْ لِعَشْرَةٍ»  
فَإِذَنْ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ قَالَ: «اِئْذَنْ لِعَشْرَةٍ» حَتَّى أَكَلَ  
الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانُونَ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٢٢)، ومسلم (٢٠٤٠).

العُكَّةُ: وعاءُ السمن. قوله: فأذمته، أي: أضلحته بالإدام، أذمتُ الخبزَ أذمته  
وَأدِمتهُ، وخبزُ مَادومٌ.

٣٥٥٦- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ أَبَاهُ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ  
عَلَيْهِ دَيْنًا، وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ، فَلَمَّا حَضَرَ جِزَارُ النَّخْلِ قَالَ: أَتَيْتُ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَالِدِي اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ،  
وَتَرَكَ دَيْنًا كَثِيرًا، وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ فَقَالَ: «أَذْهَبْ، فَبِيدِرْ  
كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَّتِهِ» فَفَعَلْتُهُ، ثُمَّ دَعَوْتُهُ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ كَأَنَّمَا أُغْرُوا  
بِي تِلْكَ السَّاعَةَ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ، أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدِرًا  
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ لِي أَصْحَابَكَ» فَمَا زَالَ  
يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللَّهُ عَنْ وَالِدِي أَمَانَتَهُ، وَأَنَا أَرْضَى أَنْ يُؤَدِّيَ اللَّهُ  
أَمَانَةَ وَالِدِي، وَلَا أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ، فَسَلَّمَ اللَّهُ الْبَيَادِرَ كُلَّهَا،  
وَحَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدِرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّمَا لَمْ تَنْقُصْ  
تَمْرَةً وَاحِدَةً.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٢١٢٧).

قوله: «جِزَارٌ» هو بالزاي في الموضعين، أي: قَطَعُ النخل.

٣٥٥٧- عَنْ الْأَعْرَجِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾. قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ، وَإِنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَمَا بَالُ الْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ؟ وَإِنَّ أَصْحَابِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَتْ تَشْغَلُهُمْ صَفَقَاتُهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ أَصْحَابِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ تَشْغَلُهُمْ أَرْضُوهُمْ، وَالْقِيَامُ عَلَيْهَا، وَإِنِّي كُنْتُ امْرَأً مَسْكِينًا، وَكُنْتُ أَكْثَرُ مُجَالَسَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْضَرُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّثَنَا يَوْمًا، فَقَالَ: «مَنْ يَبْسُطُ نَوْبَهُ حَتَّى أَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِي ثُمَّ يَقْبِضُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي أَبَدًا» قَالَ: فَبَسَطْتُ نَوْبِي، أَوْ قَالَ نَمْرَتِي، ثُمَّ حَدَّثْنَا، فَقَبِضْتُهُ إِلَيَّ، فَوَاللَّهِ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، وَإِنَّمِ اللَّهُ لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُمْ بِشَيْءٍ أَبَدًا ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الآية كُلُّهَا [البقرة: ١٥٩].

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٢٠٤٧)، ومسلم (٢٤٩٢).

قوله: صَفَقَاتُهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ: أراد: صَفَقَ الْأَكْفَ عِنْدَ الْبَيْعِ كَانُوا إِذَا تَصَافَقُوا بِالْأَكْفِ كَانَ ذَلِكَ إِمَارَةً الْمَلِكِ، وَأَنْبَرَامَ الْبَيْعِ، وَلِذَلِكَ يُضَافُ الْأَمْلَاكُ إِلَى الْأَيْدِي، وَالْقَبُوضُ تَقَعُ بِهَا.

٣٥٥٨- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ، اسْتَنَدَ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ، فَاسْتَوَى عَلَيْهِ، اضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَةُ كَحَنِينِ النَّاقَةِ حَتَّى سَمِعَهَا أَهْلَ الْمَسْجِدِ حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَعْتَقَهَا، فَسَكَنْتُ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٨٥).

وحنين الناقة: ترجيعها صوتها إثر ولدها، يقال: حنّت، أي: اشتاقت.

وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان، وفيه تأييد لقول من يحمل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] على ظاهره. وكان الحسن البصري إذا حدّث بهذا الحديث قال: يا معشر المسلمين، إنّ الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه، فأنتم أحقُّ أن تشاوقوا إليه. أفاده الحافظ في «الفتح» ٦/٦٩٧.

٣٥٥٩- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ كَانَ قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، جَدَّ فِيهَا، فَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَقْبَلُهُ» قَالَ أَنَسٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهُ أَتَى الْأَرْضَ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَوَجَدَهُ مَنبُودًا. قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: مَا شَأْنُ هَذَا؟ فَقَالُوا: قَدْ دَفَنَاهُ مِرَارًا، فَلَمْ تَقْبَلْهُ الْأَرْضُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١).

٣٥٦٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ مُؤْمِنًا سَمِعَ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي قُلْتُ: وَمَا عَلِمُكَ بِذَلِكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: إِنَّ أُمَّي كَانَتْ مُشْرِكَةً، وَإِنِّي كُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَتَأَبَى عَلَيَّ، وَإِنِّي دَعَوْتُهَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَاسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي امْرَأَةٌ مُشْرِكَةٌ وَإِنِّي كُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَتَأَبَى عَلَيَّ، وَإِنِّي دَعَوْتُهَا، فَاسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ،

فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّي فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجَتْ  
 أَعْدُو أَبْشُرَهَا بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَتَيْتِ الْبَابَ إِذَا هُوَ مُجَافٌ،  
 وَسَمِعَتْ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، وَسَمِعَتْ خَشْفَ رِجْلِي، فَقَالَتْ: يَا أَبَا  
 هُرَيْرَةَ كَمَا أَنْتَ، وَفَتَحْتَ الْبَابَ، وَلَبِسْتَ دِرْعَهَا، وَعَجَلْتَ عَن  
 خِمَارِهَا، فَقَالَتْ: إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
 وَرَسُولُهُ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبْكِى مِنَ الْفَرَحِ كَمَا بَكَيْتُ مِنَ  
 الْحُزَنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ، فَهَدَى  
 أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبِّبَنِي وَأُمَّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ،  
 وَيُحِبِّبَهُمْ إِلَيَّ، وَإِلَيْهَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ وَأُمَّهُ إِلَيَّ عِبَادِكَ  
 الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبَهُمْ إِلَيْهِ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٤٩١).

٣٥٦١- عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي ثَقِيفٍ  
 كَذَابًا وَمُيْبِرًا».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٥٤٥).

قيل: الكذاب هو المختار بن أبي عبيد، والميبر: الحجاج بن يوسف، والميبر:  
 الذي يهلك الناس.

٣٥٦٢- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى  
 فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ، فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي  
 بِيَدِهِ لَتَنْفِقَنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٠٢٧)، ومسلم (٢٩١٨).

٣٥٦٣- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَهْلِكُ كِسْرَى، ثُمَّ لَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرٌ لِيَهْلِكُنَّ، ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» وَسَمَّى الْحَرْبَ خُدْعَةً.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٠٢٨).

وقد روي أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى يدعو إلى الإسلام، فمزق كتابه، فقال النبي ﷺ: «تَمَزَّقَ مُلْكُهُ» وكتب إلى قيصر، فأكرم كتابه، ووضعه في مسك، فقال النبي ﷺ: «نَبَتَ مُلْكُهُ». أخرجه البخاري (٤٤٢٤).

ووجه الجمع بين الحديتين أن كسرى تمزق ملكه، فلم يبق لهم ملك، وأنفقت كنوزه في سبيل الله، وأورث الله المسلمين أرضه، وقيصر ثبت ملكه بالرؤوم، وانقطع عن الشام، واستبيحت خزائنه التي كانت بهما، وأنفقت في سبيل الله. فمعنى قوله: لا قيصر بعده، يعني بالشام.

٣٥٦٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمَّ حَرَامِ بِنْتِ مِلْحَانَ، فَتَطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمَّ حَرَامٍ تَحْتَ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَأَطْعَمْتُهُ، ثُمَّ جَلَسَتْ تَقْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرَكْبُونَ بَنَجَ الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ، أَوْ مِثْلَ مُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ (يَشُكُّ أَيْهُمَا) قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ

كَمَا قَالَ فِي الْأُولَى . قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : «أَنْتِ مِنَ الْأُولِينَ» فَرَكِبَتْ أُمَّ حَرَامِ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَضَرَعَتْ عَنْ دَائِبَتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ .

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٢٧٨٨) ، ومسلم (١٩١٢) .

الْتَّبِجُ : الوَسَطُ . وفي الحديث : «أَنْطَو الثَّبَجَةُ» أي : أعطوا الوَسَطَ في الصدقة ، يقال : ضربَ بالسيفِ تَبِجَ الرَّجُلِ ، أي : وَسَطَهُ ، وَالتَّبِجُ : ما بين الكَتِفَيْنِ .

٣٥٦٥- عن خالد بن معدان : أَنَّ عُمَيْرَ بْنِ الْأَسْوَدِ الْعَبْسِيِّ حَدَّثَهُ : أَنَّهُ أَتَى عَبْدَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَهُوَ نَازِلٌ فِي سَاحِلِ حِمَاصٍ وَهُوَ فِي بِنَاءٍ لَهُ وَمَعَهُ أُمَّ حَرَامٍ قَالَ عُمَيْرٌ : حَدَّثَنَا أُمَّ حَرَامٍ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا» قَالَتْ أُمَّ حَرَامٍ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ : أَنْتِ فِيهِمْ ، قَالَتْ : ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ» فَقُلْتُ : أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : «لَا» .

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٢٩٢٤) .

٣٥٦٦- عن ابن المنكدر أَنَّ سَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْطَأَ الْجَيْشَ بِأَرْضِ الرُّومِ ، أَوْ أُسِرَ فِي أَرْضِ الرُّومِ ، فَانْطَلَقَ هَارِبًا يَلْتَمِسُ الْجَيْشَ ، فَإِذَا هُوَ بِالْأَسَدِ ، فَقَالَ لَهُ : أَبَا الْحَارِثِ إِنِّي مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِنْ أَمْرِي كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَأَقْبَلَ الْأَسَدُ لَهُ بِضَبْصَةٍ حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِهِ كُلَّمَا سَمِعَ صَوْتًا ، أَهْوَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى بَلَغَ الْجَيْشَ ، ثُمَّ رَجَعَ الْأَسَدُ .

رجاله ثقات إلا أن ابن المنكدر لم يثبت سماعه من سفينة، وهو في «المصنف» (٢٠٥٤٤)، وأخرجه بنحوه الحاكم ٦٠٦/٣، وصححه ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الخصائص» وزاد نسبه إلى ابن سعد وأبي يعلى واليزار وابن مندة، والبيهقي وأبي نعيم.

## باب

### المبعث وبدء الوحي

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]،  
 أَي: شَقَّ جَمَاعَاتِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَقِيلَ: اجْهَرَ بِالقُرْآنِ، وَقِيلَ: أَظْهَرَ،  
 وَقِيلَ: احْكُمْ، وَقِيلَ: افْصِلْ بِالأَمْرِ، وَالصَّدِيعُ: الصُّبْحُ، وَقِيلَ:  
 افْرُقْ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، يُقَالُ: تَصَدَّعَ القَوْمُ، أَي: تَفَرَّقُوا، وَمِنْهُ  
 قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]، أَي: يَتَفَرَّقُونَ  
 ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]. قَالَ اللهُ تَبَارَكَ  
 وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، أَي: جَامِعاً  
 لَهُمْ بِالإِنذَارِ، وَمَعْنَى «كَافَّةً» فِي اللُّغَةِ: الإِحَاطَةُ مَاخُوذَةً مِنْ كُفَّةِ  
 الشَّيْءِ، وَهِيَ حَرْفُهُ إِذَا انْتَهَى الشَّيْءُ إِلَيْهِ كَفَّ عَنِ الزِّيَادَةِ، وَقِيلَ فِي  
 قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٧]،  
 أَي: أُبْلِغُوا فِي الإِسْلَامِ إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي شَرَائِعُهُ، فَتَكْفُؤُوا مِنْ أَنْ  
 تَعْدُوا وَتُجَاوِزُوا، وَأَرَادَ بِالكَافَةِ: الإِحَاطَةَ بِجَمِيعِ حُدُودِ الإِسْلَامِ،  
 وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ادْخُلُوا كُلُّكُمْ فِيهِ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾  
 [المزمل: ٥]، أَي: لَهُ وَزَنٌ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحْرِكُ شَفْتَيْهِ إِذَا أُنزِلَ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ، يَخْشَى أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أَنْ تَقْرَأَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يَقُولُ: أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ اسْمَعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]، أَنْ نُبَيِّنَهُ عَلَى لِسَانِكَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا آتَاهُ جِبْرِيلُ أُطْرُقَ، فَإِذَا ذَهَبَ، قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٥٦٧- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ سَنَةً.

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحِّهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٠٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥١).

٣٥٦٨- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَيَرَى الضُّوْءَ سَبْعَ سِنِينَ، وَلَا يَرَى شَيْئاً وَثَمَانِيَةَ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا.

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٣٥٣).

وقوله: «يسمع الصوت» أي: صوت الهاتف به من الملائكة، و«يرى الضوء» أي: نور الملائكة، ونور آيات الله تعالى.

٣٥٦٩- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصَّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ

حِرَاءَ، فَيَتَحَنَّتْ فِيهِ - وَهُوَ تَعَبُدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ عَدَدٍ - قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى  
أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى  
جَاءَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ:  
مَا أَنَا بِقَارِيءٍ قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ  
أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيءٍ فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ  
حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا  
بِقَارِيءٍ، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ  
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾  
[العلق: ١-٣]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادَهُ، فَدَخَلَ عَلَى  
خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ  
الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي،  
فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ،  
وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى  
نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَاَنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ  
أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنِ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفِي الْجَاهِلِيَّةِ،  
وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ  
أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ  
عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟  
فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ  
الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ  
يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ  
لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ  
أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيَ.

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صَحْتِهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣)، وَمُسْلِمٌ (١٦٠).

وَفَلَقُوا الصَّبْحَ وَفَرَّقُوا الصَّبْحَ: ضَوْؤُهُ إِذَا انْفَلَقَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَجِرَاءُ: جَبَلٌ بِمَكَّةَ، وَهِيَ مَكْسُورَةٌ الْحَاءِ مَفْتُوحَةٌ الرَّاءِ مَمْدُودَةٌ.

وَقَوْلُهَا: يَتَحَنَّنُ فِيهِ، أَيُّ: يَتَعَبَدُ، وَالتَّحَنُّنُ: التَّعَبُّدُ سُمِّيَ بِهِ، لِأَنَّهُ يُلْقَى بِهِ الْعِنْتُ وَالذَّنْبُ عَنِ نَفْسِهِ، وَمِثْلُهُ التَّحَوُّبُ وَالتَّحَرُّجُ وَالتَّأْتُمُ لِإِلْقَاءِ الْحَوْبِ وَالْحَرَجِ وَالِإِثْمُ عَنِ نَفْسِهِ.

وَالغَطُّ: الضَّغْطُ الشَّدِيدُ، وَمِنْهُ الغَطُّ فِي الْمَاءِ، وَيُرْوَى: فَغَتَّنِي، وَمَعْنَاهُ: الغَطُّ أَيْضًا. يَرْجُفُ فَوَّادُهُ: أَيُّ: يَخْفِقُ، وَالرَّجْفَةُ: شِدَّةُ الْحَرَكَةِ.

وَقَوْلُهُ: زَمَلُونِي: أَيُّ: دَثَرُونِي وَتَزَمَّلَ الرَّجُلُ بِالثَّوْبِ: اشْتَمَلَ بِهِ، وَقَوْلُهَا: وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، أَيُّ: الْمَتَقَطِّعَ، تَرِيدُ: أَنْتَ تَعِينُ الضَّيْفَ، وَالْكَلُّ: الَّذِي لَا يَغْنِي نَفْسَهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْعِيَالِ: كَلٌّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ [النحل: ٧٦] أَيُّ: ثَقُلَ عَلَى وَلِيِّهِ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ «وَتُكْسِبُ الْمَعْدَمَ» وَهُوَ الْأَضْوَبُ، لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْأَفْعَالِ، أَيُّ: تُعْطَى الْعَائِلُ، يُقَالُ: كَسَبْتُ الرَّجُلَ مَالًا وَأَكْسَبْتُهُ، أَيُّ: أَعْطَيْتُهُ، وَيُحذفُ الْأَلْفُ أَفْصَحُ.

وَالنَّامُوسُ: صَاحِبُ سِرِّ الرَّجُلِ الَّذِي يُطْلَعُهُ عَلَى بَاطِنِ أَمْرِهِ، وَيَخْصُهُ بِمَا يَسْتَرُهُ عَنِ غَيْرِهِ، يُقَالُ: نَمَسَ الرَّجُلُ يَنْمِسُ نَمْسًا، وَقَدْ نَامَسْتُهُ مُنَامَسَةً: إِذَا سَارَرْتَهُ، فَالنَّامُوسُ: صَاحِبُ سِرِّ الْخَيْرِ، وَالْجَاسُوسُ: صَاحِبُ سِرِّ الشَّرِّ.

وَقَوْلُهُ: يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، أَيُّ: شَابًا، وَالْأَصْلُ فِي الْجَدَعِ سِرُّ الدَّوَابِّ، وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ أَسْلَمْتُ، وَأَنَا جَدَعَمَةٌ، أَرَادَ: وَأَنَا جَدَعٌ: أَيُّ: حَدَثٌ فِي السِّنِّ، فزَادَ فِي آخِرِهَا مِيمًا توكِيدًا. وَنَصَبَ «جَدَعًا» لِأَنَّ مَعْنَاهُ لَيْتَنِي كُنْتُ جَدَعًا. وَالثَّابِتُ فِي قَوْلِهِ: «فِيهَا» لِإِضْمَارِ النُّبُوَّةِ أَوْ الدَّعْوَةِ أَوْ الدَّوَلَةِ يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَابًا وَقَدْ

دعوتك ونبوتك أنصرك نصرًا مؤزرًا، أي: بالغًا. وآزر فلانًا فلانًا، أي: عاونه على أمره، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَازَرَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: قوّاه، والأزْرُ: القوّة، وقوله: ﴿أَشْدُّ بِهِ أِزْرِي﴾ [طه: ٣١] أي: قوّ به ظهري.

وفي الحديث من الفقه: أن مكارم الأخلاق سبب للوقاية من مصارع السوء كما استنبطته أمّ المؤمنين خديجة رضوان الله عليها.

وفيه: مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة تطرأ.

وفيه: تأنيس من حصلت له مخافة من أمرٍ وتبشيره وذكر أسباب السلامة له.

وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها، وجزالة رأيها، وقوّة نفسها، وثبات قلبها وعظم فقهها. أفاده النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ٤٨٢/١.

٣٥٧٠- عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي: «بيننا أنا واقف، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيه بين السماء والأرض، قال رسول الله ﷺ: فجئنت منه فرقا، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني، دثروني، فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥] ثم تتابع الوحي».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (٢٣٣٣).

قوله: «جئنت» أي: دعت، ويروى: «جئنت» يقال: جئت الرجل، وجئت، وجؤف، أي: فرغ.

٣٥٧١- عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيَنْفِصُمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيَكَلِّمُنِي فَأَعْبِي مَا يَقُولُ». قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِي الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَنْفِصُمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفْصَدُ عَرَقًا.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٢) عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، وقال: فَيَنْفِصُمُ عَنِّي، وفي آخره فَيَنْفِصُمُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم (٢٣٣٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن سفيان بن عيينة، عن هشام، وقال: ثُمَّ يَنْفِصُمُ عَنِّي.

قوله: «يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ» فالصَّلصلةُ: صوت الحديد إذا حُرِّك، قال أبو سليمان الخطابي: يريد -والله أعلم- أنه صوت مُتْدَارِكٍ يسمعه ولا يُبْهِتُهُ عند أوَّل ما يَقْرَعُ سَمْعَهُ حَتَّى يَتَفَهَّمُ، وَيَسْتَثْبِتُ، فَيَتَلَقَّفُهُ حِينَئِذٍ وَيَعْبِيهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ. قوله: «فَيَنْفِصُمُ عَنِّي» أي: يَنْقَطِعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] وَمَنْ رَوَى: فَيَنْفِصُمُ عَنِّي -وهو الأصوب- معناه: يُفْلِعُ عَنِّي. وقولها: يَتَفْصَدُ عَرَقًا، أي: يَسِيلُ كَمَا يُفْصَدُ الْعِرْقُ.

٣٥٧٢- عَنْ عَبْدِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، نَكَسَ رَأْسَهُ، وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُؤُوسَهُمْ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ، رَفَعَ رَأْسَهُ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣٥) وفي رواية: كان إذا أنزل عليه، كَرِبَ لِدَلِكْ، وَتَرَبَّدَ وَجْهَهُ.

قوله: تَرَبَّدَ وَجْهَهُ وَأَرِيدُ، أي: تَلَوَّنَ فَصَارَ، كَلَوَّنَ الرَّمَادَ.

٣٥٧٣- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ ابْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَلَى عَلَيْهِ ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥]، قَالَ فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمْلِيهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَفَخِذَهُ عَلَى فِخْذِي، فَثَقُلْتُ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تُرَضَّ فِخْذِي، ثُمَّ سُرِّي عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿غَيْرِ أَوْلِي الضَّرَرِ﴾.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٢٨٣٢).

الوحي من الله عز وجل على أنبيائه عليهم السلام على أنواع كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه ما يشاء﴾ [الشورى: ٥١] قال بعض أهل التفسير: الوحي الأول ما أراهم في المنام. قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي، وقرأ: ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ [الصفافات: ١٠٢] وقاله غير واحد من أهل التفسير. وقوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ فكما كلم موسى عليه السلام من وراء حجاب حتى قال: ﴿أرني أنظر إليك﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ فهو إرساله الروح الأمين، كما قال عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

وقد كان لنبينا ﷺ جميع هذه الأنواع، فقال الله عز وجل في رؤياه: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٨].

وقالت عائشة رضي الله عنها: أول ما بيديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت به مثل فلق الصبح. وقال في

الكلام: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم: ١٠] وفرض عليه ليلة المعراج خمسين صلاة، وقال في إرسال جبريل عليه السلام: ﴿نزل به الرُّوح الأمين على قلبك﴾ وقال: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] وفي الحديث «إِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ» أخرجه الحاكم ٤/٢ من حديث ابن مسعود وله شاهد مرسل حسن عند الشافعي ١٤/١ من حديث المطلب بن حنطب، وآخر عن جابر بنحوه عند الحاكم ٤/٢، وسنده قوي في الشواهد، وثالث عن أبي أمامة عند أبي نعيم في «الحلية» ٢٧/١٠ وفي سنده ضعف.

ومن الوحي ما يأتي به جبريل، ومنه ما يأتي به غيره من الملائكة، ومنه ما يكلمه الملك بأمر الله تكليماً، ومنه ما يأتيه فيلقي في روعه، ومن الوحي ما كان سراً بين الله ورسوله، فلم يحدث به أحداً، ومنه ما حدث به الناس، وذلك على نوعين، فمنه ما كان مأموراً بكتبته قرآناً، ومنه ما لم يكن مأموراً بكتبته قرآناً، فلم يكن من القرآن، ويحكي عن الزهري معنى هذا.

٣٥٧٤- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟» فَتَزَلْتُ ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٢١٨).

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] أي: ما نسيتك ربك أن أخرج الوحي.

## بَابُ

دَعَايِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشْرِكِينَ وَصَبْرَهُ عَلَى أَذَاهِمُ

٣٥٧٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ» قَالَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ لِهَذَا دَعْوَتَنَا جَمِيعًا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إِلَى آخِرِهَا.

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٩٧١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٨).

٣٥٧٦- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يَنَادِي: «يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» لِبَطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فِجَاءَ أَبِي لَهَبٍ وَقُرَيْشٍ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُعَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا، فَتَزَلَّتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٧٠).

٣٥٧٧- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾  
 قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ  
 الْمُطَّلِبِ، يَا بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا سَلُونِي  
 مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٠٥).

٣٥٧٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ  
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ:  
 «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ  
 اللَّهِ شَيْئًا، يَا بِنِي عَبْدِ مَنَاةٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ  
 عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا  
 أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ  
 مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

٣٥٧٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ  
 يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ:  
 أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ، فَيَعْمَدُ  
 إِلَى فَرْئِهَا وَوَدَمِهَا وَسَلَاهَا، فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يُمِهَلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ،  
 وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَاذْبَعَتْ أَشْقَاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،  
 وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَتَبَتِ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ  
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَاذْبَعَتْ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ وَهِيَ  
 جُوَيْرِيَّةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَتَبَتِ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ،

فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبُؤَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، ثُمَّ سَمَى: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرٍو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَعى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سَحَبُوا إِلَى الْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَتَّبَعَ أَصْحَابُ الْقَلْبِ لَعْنَةً».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٢٤٠)، وأخرجه مسلم (١٧٩٤) وقال: ودعا عليهم ثلاثاً، وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل، سأل ثلاثاً.

وقال شعبة عن أبي إسحاق: إذ جاء عقبة بن أبي مُعَيْطٍ بسلى جزورٍ، فقذفه على ظهر النبي ﷺ.

قيل: كان هذا الصنيع منهم قبل تحريم هذه الأشياء من الفُرثِ والدمِّ وذيبيحة أهل الشرك، فلم تكن تبطل الصلاة بها، كالخمر كانت تُصيب ثيابهم قبل تحريمها.

٣٥٨٠- عن عروة بن الزبير قال: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ.

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨١٥).

٣٥٨١- عن عروة بن الزبير: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِنِّي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنظَرْتُ، فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٣١)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٥).

والأخشبُ من الجبال: الخشن الغليظ، وأخشبا مكة: جبالها، وفي بعض الحديث «لا تزول مكة حتى يزول أخشابها» سُمِّيَا أَخْشَبِينَ لِصَلَابَتِهِمَا وَغِلْظِ حَجَارَتِهِمَا.

٣٥٨٢- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: رُمِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ، وَأُذْمِيَ وَجْهُهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (١٧٩١).

٣٥٨٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسُحُ عَن وَجْهِهِ الدَّمَ، وَيَقُولُ: «يَا رَبَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٩٢٩)، ومسلم (١٧٩٢).

وفي الحديث: ما كان عليه الأنبياء صلوات الله عليهم من الحلم والتصبر. والعمو والشفقة على أقوامهم، ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنائهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون.

٣٥٨٤- عَنْ هَمَّامِ بْنِ مَنبَهٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ حِينَئِذٍ يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَّتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٠٧٣)، ومسلم (١٧٩٣).

٣٥٨٥- عَنْ خَبَّابٍ قَالَ: شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَدْعُوا اللَّهَ لَنَا؟ أَلَا تَسْتَنْصِرُ اللَّهَ لَنَا؟ فَجَلَسَ مُحَمَّارًا لَوْنُهُ أَوْ وَجْهُهُ، فَقَالَ لَنَا: «لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُجْعَلُ فَوْقَ رَأْسِهِ، ثُمَّ يُجْعَلُ بِفَرْقَتَيْنِ مَا يَضْرِفُهُ عَن دِينِهِ، وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَضْرِفُهُ عَن دِينِهِ، وَلَيْمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكْبُ مِنْكُمْ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ، وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ».

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٥٢).

بَابُ

المعراج

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١].

٣٥٨٦- عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ، قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ - قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ - مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ» فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثَغْرَةٍ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصَبِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ. «فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيَتْ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ إِيْمَانًا، فَنُغْسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُسِّي، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيَتْ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَعْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَيْبُضَ - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ - يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ:

مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى  
وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمَا،  
فَسَلَّمْتُ، فَرَدًّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ  
صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ:  
وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ:  
مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ،  
قَالَ: هَذَا يُوسُفُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدًّا، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا  
بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ  
الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟  
قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ،  
فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا إِدْرِيسُ، قَالَ: هَذَا  
إِدْرِيسُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدًّا، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ  
الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ،  
فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:  
مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ  
الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ،  
فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدًّا، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ،  
وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ،  
قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ:  
قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا  
خَلَصْتُ، فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ

عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ، بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لَأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، فَإِذَا نَبَقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ، قَالَ: هَذَا سِدْرَةُ الْمُنتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةٌ أَنَهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ، فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ، فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي بَيْتُ الْمَعْمُورِ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَاةُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمِ أَمَرْتِ؟ قَالَ: أَمَرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلِّهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ،

فَرَجَعْتُ، فَأَمَرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلِّ يَوْمٍ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأَمَرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلِّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمِ أَمَرْتُ؟ قُلْتُ: أَمَرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلِّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلِّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

قوله: بينما أنا في الحطيم. الحطيم: الحجر، سُمِّيَ حَطِيمًا لِمَا حُطِمَ مِنْ جِدَارِهِ، فَلَمْ يُسَوِّ بِنَاءَ الْبَيْتِ. قَدْ، أَي: قَطَعَ. وَالشُّعْرَةُ: الْعَانَةُ: وَالْقَصُّ: الصَّدْرُ.

وقيل في قول خُرَّانِ السَّمَوَاتِ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ، أَي: هَلْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ لِلْعُرُوجِ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَمَّا بَعَثَهُ رَسُولًا إِلَى الْخَلْقِ، فَكَانَ شَائِعًا مُسْتَفِضًا قَبْلَ الْعُرُوجِ.

وذكر الخطابيُّ على بكاء موسى ﷺ قال: لَا يَجُوزُ أَنْ يُتَأَوَّلَ بِكَأُوهِ عَلَى الْحَسِدِ لَهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَلِيقُ بِصِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَإِنَّمَا بَكَى مِنْ نَاحِيَةِ الشَّفَقَةِ عَلَى أُمَّتِهِ، إِذْ قَصَرَ عَدَدَهُمْ عَنْ مَبْلَغِ عَدَدِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وقوله: إن غلاماً بُعث بعدي. ليس على سبيل الإزراء به، لكنه على معنى تعظيم المِنَّةِ لَلَّهِ عَلَيْهِ، إِذْ قَدْ أَحَقَّهُ لَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ طَوْلِ عُمْرٍ فِي عِبَادَتِهِ، وَقَدْ تَسْمِي الْعَرَبُ الْمُسْتَجْمِعَ لِلسَّنِّ غَلَامًا مَا دَامَتْ فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ قُوَّةٍ.

قوله: وَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ. يريد أن حَبَّ ثمرها في الْكِبَرِ مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَهِيَ الْجِرَارُ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَهُمْ.

وقد جَوَّدَ القاضي عياض الكلام على حادثة الإسراء في «الشفاء» ١٦٤/١ فقال:  
والحقُّ من هذا والصحيح إن شاء الله أنه إسرائٌ بالجسد والروح في القصة كلها،  
وعليه تدلُّ الآية وصحيحُ الأخبار والاعتبارُ، ولا يُعدَّلُ عن الظاهر والحقيقة إلى  
التأويلِ إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراءِ بجسده وحالِ يقظته استحالة، إذ لو  
كان مناماً لقال: «بروحِ عبده» ولم يقل «بعبده» وقوله تعالى: ﴿ما زاغ البصرُ وما  
طغى﴾ [النجم: ١٧]، ولو كان مناماً لما كانت فيه آيةٌ ولا معجزة، ولما استبعده  
الكفار، ولا كذَّبوه فيه، ولا ارتدَّ به ضعفاءٌ من أسلم، وافتتنوا به، إذ مثلُ هذا في  
المنامات لا يُنكر، بل لم يكن منهم ذلك إلا وقد علموا أنَّ خبره إنَّما كان عن  
جِسْمه وحالِ يقظته، إلى ما ذُكِرَ في الحديثِ من ذُكْرِ صلَّاته بالأنبياء في بيت  
المقدس في رواية أنس.

٣٥٨٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيْتُ  
بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أبيضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الحِمَارِ، وَدُونَ البَعْلِ يَقَعُ حَافِرُهُ  
عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَركبته حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ قَالَ: فَربطته  
بِالحَلْقَةِ الَّتِي تَرَبُّطُ بِهِ الأنبياءُ قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ  
رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ،  
فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتُ الفِطْرَةَ، قَالَ: ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى  
السَّمَاءِ، وَسَاقَ مِثْلَ مَعْنَاهُ... قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا  
لِي بِخَيْرٍ، وَقَالَ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ: فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ، إِذَا هُوَ قَدْ  
أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ بِكَاءِ  
مُوسَى. وَقَالَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى  
البَيْتِ المَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ لَا  
يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السُّدْرَةِ المُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ

الْفَيْلَةِ، وَإِذَا ثَمَرَهَا كَالْقِلَاحِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، وَأَوْحَى إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَقَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَتَزَلْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلُهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلُهُ التَّخْفِيفَ قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ يُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً، قَالَ: فَتَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلُهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٢).

٣٥٨٨- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فُرِّجَ عَنِّي سَقْفُ بَيْتِي، وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَتَزَلَ جِبْرِيلُ، فَفَرَّجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ

بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ  
السَّمَاءِ: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ  
أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ،  
فَلَمَّا فَتَحَ، عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا إِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ،  
وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ  
شِمَالِهِ، بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ  
لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ  
نَسَمٌ بَيْنَهُ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ  
أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ، بَكَى  
حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ  
خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُ « قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ  
آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ يُثَبِّتْ كَيْفَ مَنَازِلَهُمْ غَيْرَ  
أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ  
الْأَنْصَارِيِّ كَانَا يَقُولَانِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ  
لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ» قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ:  
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَرَجَعْتُ  
بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟  
قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا  
تُطِيقُ، فَارْجِعْنِي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: وَضَعَ  
شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَارْجَعْتُ، فَوَضَعَ

شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاَجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبِّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٤٩)، وأخرجه مسلم (١٦٣) وفي روايته «إِذَا فِيهَا جَنَابُذُ اللَّوْلُؤِ يَرِيدُ: قِيَابُ اللَّوْلُؤِ»، والجَنَابُذُ: جمع الجُنْبُدَةِ، وهي القُبَّةُ، ولم يعرف الخطابِيُّ الحَبَائِلَ. والأسودَةُ: جمع سوادٍ وهو شخص الإنسان.

والتَّسْمُ: جمع نَسْمَةٍ، وهي النفس، وكلُّ دَابَّةٍ فِيهَا رُوحٌ، فهي نَسْمَةٌ، والتَّسْمُ: الرُّوحُ، وأراد أرواح أولاده، وقوله: «ظَهَرْتُ» أي: صَعِدْتُ، والمستوى: المصعد. وقوله: «أَسْمَعُ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ»: يريد -والله أعلم- ما يكتبه الملائكة من أفضية الله عزَّ وجل، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ.

٣٥٨٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنِ أُرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ: هِيَ شَجَرَةُ الرَّقُومِ.

أخرجه البخاري (٣٨٨٨).

٣٥٩٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ

مِنَ الْأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قَالَ: فَرَأْسٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأَعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَعُفِّرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُفْحِمَاتُ.

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧٣).

المُفْحِمَاتُ: أَرَادَ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ الَّتِي تُقْحِمُ أَصْحَابَهَا فِي النَّارِ، أَي: تُلْقِيهِمْ فِيهَا، وَالْفَحْمُ: الْأُمُورُ الشَّاقَّةُ، وَقَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ [ص: ٥٩] أَي: دَاخِلٌ مَعَكُمْ النَّارِ.

٣٥٩١- عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ زِرًّا عَن قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩]، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ.

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨٥٦)، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧٤) (٢٨٢) وَفِيهِ: قَالَ: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ.

٣٥٩٢- عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، قَالَ: رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ الْأُفُقَ.

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨٥٨).

قِيلَ: الرَّفْرَفُ: الْبَسَاطُ، وَقِيلَ: هِيَ هَاهُنَا الثِّيَابُ الْخُضْرُ. وَجَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ فِي حُلَّةٍ مِنْ رَفْرَفٍ قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ صَحْحَهَا التِّرْمِذِيُّ (٣٢٧٩)، وَالْحَاكِمُ ٤٦٨/٢ وَوَأَفَقَهُ الذَّهَبِيُّ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧٥).

٣٥٩٣- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: فُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ، ثُمَّ نُقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسَةً، ثُمَّ نُودِيَ: «يَا مُحَمَّدُ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهَذِهِ الْخَمْسِ خَمْسِينَ».

صحيح.

٣٥٩٤- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، رَأَيْتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٧٥) ولفظه عنده: «مررتُ على موسى ليلة أُسْرِيَ بِي عند الكئيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره».

٣٥٩٥- عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب أنه سمعَ أبا هريرة يقول: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أتَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ بِإِبِلِيَاءَ بِقَدْحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَظَرَّ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ أَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ جَبْرِيلُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ الْفِطْرَةَ، وَلَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ، غَوَتْ أُمَّتُكَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨).

قوله: «الفطرة» يعني الإسلام والاستقامة، وجعل اللبن علامة على ذلك لكونه سهلاً طيباً سائغاً للشاربين سليم العاقبة، بخلاف الخمر، فإنها أمُّ الخبائث، وجالبةٌ لأنواع الشرور في الحال والمآل.

٣٥٩٦- عن جابر بن عبد الله قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٧١٠)، ومسلم (١٧٠).

## باب

### الهجرة

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، يُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ: أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ: الْمَدِينَةَ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ: مَكَّةَ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِلَىٰ مَكَّةَ.

٣٥٩٧- عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي ﷺ قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدُّعْنَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْبُدُ رَبِّي. قَالَ ابْنُ الدُّعْنَةَ: فَإِنَّ مِثْلَكَ - يَا أَبَا بَكْرٍ - لَا يَخْرُجُ، وَلَا يُخْرَجُ، أَنْتَ تَكْسِبُ الْمُعْدِمَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ، ازْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَارْجِعْ، وَارْتَحِلْ مَعَهُ ابْنُ الدُّعْنَةَ، فَطَافَ ابْنُ الدُّعْنَةَ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلَهُ، وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمُعْدِمَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَلَمْ تُكْذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدُّعْنَةَ، وَقَالُوا لابْنِ الدُّعْنَةَ: مَرُّ أَبَا بَكْرٍ، فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ،

فَلْيُصَلِّ فِيهَا، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ، فَإِنَّا  
نَحْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدُّعْنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ،  
فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ، وَلَا  
يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَأَبْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ،  
وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَتَقَدَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ  
وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءَ لَا  
يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدُّعْنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا أَجْرْنَا  
أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَأَبْتَنَى  
مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ الصَّلَاةَ وَالْقِرَاءَةَ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ  
يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يُقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ  
فِي دَارِهِ، فَعَلْ، وَإِنْ أَبِي إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ، فَسَلُهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ  
ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقَرِّبِينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْاِسْتِعْلَانَ.  
قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاتَى ابْنُ الدُّعْنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي  
عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ  
ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفَرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ  
لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارِكَ، وَأَرْضِي بِجِوَارِ اللَّهِ،  
وَالنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: إِنِّي أُرَيْتُ دَارَ  
هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَحْلِ بَيْنَ لَابَتَيْنِ، وَهِيَ الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ  
الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَةٌ مَنْ كَانَ هَاجِرًا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ،  
وَتَجَهَّرَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ،

فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَدِّنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرَجُّو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟  
قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُصَحِّبَهُ،  
وَعَلَفَ رَاِحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمْرِ -وَهُوَ الْخَبْطُ- أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا  
جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنَّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:  
فَدَى لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ:  
فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ  
لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي  
أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ» قَالَ أَبُو  
بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»،  
قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاِحِلَتِي هَاتَيْنِ،  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِالْثَّمَنِ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّرْنَا هُمَا أَحَثَّ  
الْجَهَّازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةَ فِي جِرَابٍ، فَقَطَعْتَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ  
قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطْتُ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ  
النِّطَاقَيْنِ، قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِعَارٍ فِي جَبَلِ  
تُورٍ، فَمَكَّنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، بَيَّتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ  
غُلَامٌ شَابٌّ نَقِيفٌ لَقِينٌ، فَيَدْلُجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ  
بِمَكَّةَ كِبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ  
ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي  
بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ يَذْهَبُ سَاعَةً مِنَ الْعِشَاءِ،

فَيَبْتِغَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنٌ مِّنْحَتِهِمَا وَرَضِيْفُهُمَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهِمَا عَامِرُ  
ابْنُ فَهَيْرَةَ بَعْلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَةِ،  
وَاسْتَأْجَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي  
عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خَرِيْتًا - وَالْخَرِيْتُ: الْمَاهِرُ بِالْهَدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ  
حَلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلِ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ  
فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاِحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ  
بِرَاِحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، فَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ وَالِدَيْهِ، فَآخَذَ  
بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاِحِلِ.

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكِ الْمُدَلِجِيُّ وَهُوَ  
ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رَسُولُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ  
يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ قَتَلَهُ  
أَوْ أَسْرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِجٍ،  
أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ: يَا سُرَاقَةَ إِنِّي  
قَدْ رَأَيْتُ أَنْفًا أَسْوَدَةً بِالسَّاحِلِ أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ. قَالَ سُرَاقَةُ  
فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا  
وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ،  
فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةِ،  
فَتَحْسِبَهَا عَلِيًّا، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ،  
فَخَطَطْتُ بِرِجْلِي الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا،  
فَدَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي، فَخَرَزْتُ  
عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ،

فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضْرَهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي،  
وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تَقَرُّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يَكْثُرُ الْإِلْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي  
الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا، فَنَهَضَتْ،  
فَلَمْ تَكُذْ تُخْرَجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثْرِ يَدَيْهَا عُبَارٌ سَاطِعٌ  
فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ،  
فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي  
حِينَ لَقَيْتُ مَا لَقَيْتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ  
النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَزِرَانِي، وَلَمْ  
يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا» فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ،  
فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، فَكَتَبَ فِي رُفْعَةٍ مِنْ أَدَمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ  
الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تُجَّارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ، فَكَسَا  
الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَيَسْمَعُ الْمُسْلِمُونَ  
بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى  
الْحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْطَلَقُوا أَيْضًا بَعْدَ مَا  
أَطْلُوا أَنْتَظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوْوَا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى  
أُطْمٍ مِنْ أَطْمِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ  
مُبَيَّضِينَ، يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى

صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَتَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتْ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَلَ عَلَيْهِ بَرْدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأَسَسَ الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسَهْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ سَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هَذَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - الْمَنْزِلُ» ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغُلَامَيْنِ، فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَا: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبْنَ فِي بُنْيَانِهِ، وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبْنَ:

هَذَا الْجِمَالُ لَا جِمَالَ خَيْرَ هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطَهْرُ  
ويَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

فَتَمَثَّلَ بَيْتِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي . قَالَ ابْنُ شِهَابٍ :  
وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرِ  
هَذِهِ الْأَبْيَاتِ .

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٩٠٥) و(٣٩٠٦).

قوله ابن الدُّعْنَةَ: هي أمه، وقيل أم أبيه، وقيل: دابته، ومعنى الدُّعْنَةُ:  
المسترخية، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر. والقارة: قبيلة مشهورة من بني الهون  
ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش يضرب  
بهم المثل في قوة الرمي.

وقوله: تُكْسِبُ الْمُعْدِمَ، أي: تُعْطِيهِ الْمَالَ. وقولها: فلم تكذِّب قريش  
بجواره. يعني: لم تردِّ جواره، وكلُّ من كذَّب بشيء، فقد رَدَّهُ.

وقولها: فَيَتَقَدَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤَهُمْ، أي: يزدحمون عليه يقال:  
الناس يتقاذفون على فلان، أي: يقذف بعضهم بعضاً، فيتساقطون عليه، ويروى:  
فَيَتَقَصَّفُ، والمراد منه الازدحام حتى يسقط بعضهم على بعض، وفي الحديث:  
«أنا والنبيون فراط لقاصفين» فالقاصفون: الذين يزدحمون، يقول: نحن نتقدم  
إلى الجنة، وهم على الأثر يزدحمون حتى يقصف بعضهم بعضاً بداراً إلى الجنة،  
وقيل: معناه: أنا والنبيون متقدمون في الشفاعة لقوم كثيرين مُتَدَافِعِينَ مُزْدَحْمِينَ،  
وأصل القصف: الكسر.

قولهم: كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، أي: نَنْقُضَ ذِمَّتَكَ، يقال: خفرت الرجل: إذا  
حفظته، وأخفرتُه: إذا نقضتْ عهده. والنطاق: أن تلبس المرأة ثوباً، وتشدُّ  
وسطها بحبل، ثم ترسل الأعلى على الأسفل، فسُمِّيَتْ أَسْمَاءُ ذَاتِ النَّطَاقِينَ، لأنه  
كان لها نطاقان قطعت أحدهما لزيد النبي ﷺ.

وقولها في صفة عبد الله بن أبي بكر: هو شابٌ ثَقْفٌ، أي: ذو فِطْنَةٍ، يقال: غلامٌ ثَقْفٌ، وامرأةٌ ثَقَافٌ. وقولها: لَقِنٌ، أي: حَسَنُ التَّلَقُّنِ لِمَا يَسْمَعُهُ، وَاللَّقِنُ: الفَهْمُ، يقال: لَقِنْتُ الحَدِيثَ أَلَقْنُهُ لَقْنًا.

وقولها: فَيَدْلَجُ بِسَحَرٍ، يقال: أَدْلَجَ: إذا سار الليل كله، وأدْلَجَ بالتشديد: إذا سار سَحْرًا. يُكْتَادَانِ به من الكَيْدِ.

وقولها: ورضيفهما: فالرَضِيفُ: اللبن المروضوف، وهو الذي طُرِحَ فيه الرضفة، وهي الحجارة المحمّاة لتذهبِ وخامته، يقال: رَضِفْتَ اللبن والقِدْرَ. والخِرْيَتُ: الدليل الحاذق الذي يهتدي لمثل خُرْتِ الإبرة من الطريق.

وقولها: غَمَسَ حِلْفًا. تريد أنه كان حليفًا لهم، وذلك أنهم كانوا إذا عقدوا حِلْفًا وضعوا جَفَنَةً من طيبٍ، فغمسوا أيديهم فيها لتأكيد الحلف. قوله: رأيتُ أَسْوَدَةً، جمع سَوَادِ الإنسان، وهو شخصه. وقوله: فدفعتها تقرب: التقريب: دون الحُضْرِ في سير الدَّابَّةِ، وفوق سَيْرِ العادة.

وقول سُراقَة: فاستقسمت بالأزلام. الأزلام: قِدَاحٌ زُلِّمَتْ وَسَوِّتْ، أي: أُخِذَ من حروفها، وأزلامُ بقر الوحش: قوائمها شَبَّهَتْ بأزلام القِدَاحِ للطافتها، واحدها زَلْمٌ وزَلَمٌ، كانت العرب في الجاهلية تتخذها، مكتوبٌ عليها الأمر والنهي، تضعها في وعاءٍ، وإذا أراد واحدٌ سَفْرًا أو حاجةً، أخرج منها زلماً، فإن خرج الأمر مَضَى، وإن خرج الناهي، كَفَّ وانصرف، ومعنى الاستقسام: طلبُ معرفة قسَمي الخير والشرِّ، والنفع والضرِّ.

وقوله: ساخت يدا فرسي، أي: غابت في الأرض.

وقوله: وإذا لأثر يديها غبارٌ ساطعٌ. ويروى: فخرجت قوائمها ولها عُثَانٌ بالثاء المثلثة والنون، والعثان: أصله الدُّخَانُ، وجمعه عواثن، وجمع الدُّخَانِ دواخن على غير قياس. قال أبو عبيدٍ في «غريب الحديث» ٣٤٥/١: ولا نعلم في الكلام شيئاً يشبههما. وطعامٌ عِشٌّ ومَعَثُونٌ، أي: دَخِنٌ.

قوله: يرزاني، أي: لم يسألني، يقال: رزأته ماله رزءاً، أي: أخذته.  
 قوله: أوفى رجُلٌ، أي: أشرف على أطمٍ، والأطمُ: الحصنُ. قوله: هذا جدكم  
 الذي تنتظرون. يعني: حظكم ودولتكم التي كنتم تتوقعونها. فثار المسلمون،  
 أي: وثبوا. والمِرْبَدُ: الموضع الذي يُجَعَلُ فيه التمر إذا صُرِمَ قبل أن يُجَعَلَ في  
 الأوعية، ويُنْقَلُ إلى البيوت، والمِرْبَدُ: الموضع الذي يُحْبَسُ فيه الإبل والغنم،  
 والمِرْبَدُ: الحبس.

٣٥٩٨- عن أنس بن مالك: أن أبا بكر الصديق حَدَّثَهُمْ قَالَ:  
 نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ فَوْقَ رُؤُوسِنَا، وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ:  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «يَا أَبَا  
 بَكْرٍ مَا ظَنَنْتَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا؟».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

وفي الحديث: بيان عظم توكله صلوات الله عليه حتى في هذا المقام.

وفيه. فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهي من أجل  
 مناقبه، والفضيلة من أوجهٍ منها: هذا اللفظ، ومنها: بذله نفسه ومفارقة أهله  
 وراثته وماله في طاعة الله تعالى ورسوله، وملازمة النبي ﷺ، ومعاودة الناس  
 فيه، وجعله نفسه وقايةً عنه في كثير من المواطن. انظر «شرح النووي»  
 ١٦٧/٨.

٣٥٩٩- عَنْ أَنَسِ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ  
 فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ  
 عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاؤُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ،  
 كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ، وَمَلَأُ بَنِي

النَّجَارِ حَوْلَهُ، حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ  
 حَيْثُ أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّيَ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَإِنَّهُ أَمَرَ بِنَاءِ  
 الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإِ بَنِي النَّجَارِ فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَارِ ثَامِنُونِي  
 بِحَائِطِكُمْ هَذَا» قَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ. قَالَ أَنَسٌ:  
 فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ: قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ، وَفِيهِ نَخْلٌ،  
 فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالْخَرِبِ فَسُوِّتَتْ،  
 وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ  
 الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ، وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ،  
 وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٨)، وَمُسْلِمٌ (٥٢٤).

قوله: أرسل إلى ملا من بني النجار، فالملا: أشراف الناس ورؤساؤهم الذين  
 يرجع إلى قولهم. قوله: «ثامنوني بحائطكم»، أي: يبعونه بالثمن. قوله: وفيه  
 خرب وهي جمع خربة مثل كلمة وكلم وروى بعضهم بكسر الخاء وفتح الراء جمع  
 الخراب.

وفي الحديث من الفقه: جواز قطع الأشجار المثمرة للحاجة والمصلحة  
 لاستعمال خشبها، أو ليغرس موضعها غيرها، أو لاتخاذ موضعها مسجداً، أو  
 قطعها في بلاد الكفار إذا لم يُرَجَّ فتحها؛ لأنَّ فيه نكايَةً وَعَيْظاً لهم وإضعافاً  
 وإرغاماً.

وفيه: جواز نبش القبور الدارسة وأنه إذا أزيل ترابها المختلط بدمائهم  
 وصديدهم جازت الصلاة في تلك الأرض. أفاد النووي في «شرح مسلم» ١١/٣.

٣٦٠٠- عن البراء بن عازب قال: جاء أبو بكرٍ إلى أبي في منزله، فاشترى منه رَحْلاً، فقال العازب: ابعت ابنك يحمله معي، قال: فحملته معه، وخرج أبي ينتقد ثمنه، فقال له أبي: يا أبا بكرٍ حدثني كيف صنعتما حين سريت مع رسول الله ﷺ. قال: نعم أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق لا يمرُّ فيه أحدٌ، فرفعت لنا صخرةً طويلةً لها ظلٌّ لم تأت عليه الشمسُ، فنزلنا عنده وسويت للنبي عليه السلام مكاناً بيدي ينام عليه، وبسطت عليه فروةً، وقلت: نم يا رسول الله وأنا أنفض ما حولك، فنام وخرجت أنفض ما حوله، فإذا أنا براعٍ مقبلٍ بغنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي أردنا، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ قال: لرجلٍ من أهل المدينة أو مكة قلت: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم، قلت: أفتحلب؟ قال: نعم، فأخذ شاةً، فقلت: انفض الضرع من التراب والشعر والقذى، قال: فرأيت البراء يضرب إحدى يديه على الأخرى ينفض، فحلب في قعبٍ كئيبٍ من لبن، ومعِي إداوة حملتها للنبي ﷺ يرتوي فيها، يشرب ويتوضأ، فأتيت النبي ﷺ، فكرهت أن أوقظه، فوافقته حين استيقظ، فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله، فقلت: اشرب يا رسول الله، قال: فشرب حتى رصيت، ثم قال: «ألم يأن الرحيل؟» قلت: بلى، قال: فارتحلنا بعدما زالت الشمس، واتبعنا سراقه بن مالك، فقلت: أتيناً يا رسول الله، فقال: «لا تحزن إن الله معنا» فدعا عليه النبي ﷺ، فارتطمت به فرسه إلى بطنها، أرى في جلدٍ من الأرض، شك زهير، فقال: إني أراكما قد دعوتما علي،

فَادْعُوا لِي، فَاللَّهُ لَكُمْ أَنْ أُرَدَّ عَنْكُمْ الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ،  
فَنَجَا، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا  
إِلَّا رَدَّهُ قَالَ: وَوَفَى لَنَا.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٢٤٣٩)، ومسلم (٢٣٠٩).

قوله: أنفض ما حولك، أي: أحرس وأطوف حولك، هل أرى أحداً من  
الطلب. والقعب: القدح الصغير.

وقوله: كُثْبَةٌ من لبن، أي: قليل منه، وكل ما جمعت من طعام أو غيره بعد أن  
يكون قليلاً، فهو كُثْبَةٌ، والجمع: كُثْبٌ.

قوله: يرتوي فيها. يقال: ارتوى من الماء، أي: روي.

قوله: ارتطمت به فرسه، أي: ارتبكت، يقال: ارتطم الحمار في الوحل، أي:  
ساخ فيه. والجلد: الأرض الغليظة الصلبة.

وفيه إشارة إلى ما كان عليه العرب في الجاهلية من التجميل ببعض الصفات  
الحميدة كالوقاء وعدم الغدر، وهو مما أهلهم لحمل رسالة الإسلام فيما بعد.

٣٦٠١- عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ  
مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرَأَانَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ  
عَمَارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ  
النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ حَتَّى رَأَيْتُ  
الْوَلَائِدَ وَالصَّبِيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى  
قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فِي سُورٍ مِثْلِهَا.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٩٤١).

٣٦٠٢- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ لَعِبَتِ الْحَبَشَةُ بِحِرَابِهِمْ فَرَحًا لِقُدُومِهِ.

أخرجه أحمد (١٢٦٤٩)، وأبو داود (٤٩٢٣) بسندٍ صحيح.

٣٦٠٣- عن أنس قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرضٍ يخترف، فأتى النبي عليه السلام، فقال: إني سأثلك عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ إلا نبيي، فما أولُ أشرطِ السَّاعةِ؟ وما أولُ طعامِ أهلِ الجنَّةِ؟ وما ينزَعُ الولدَ إلى أبيه أو إلى أمِّه؟ قال: «أخبرني بهنَّ جبرئيلُ أنفاً» قال: جبرئيلُ؟ قال: «نعم» قال: ذاك عدوُّ اليهودِ مِنَ الملائكةِ، فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] «أما أولُ أشرطِ السَّاعةِ، فنارٌ تحشُرُ النَّاسَ مِنَ المشرقِ إلى المغربِ، وأما أولُ طعامِ أهلِ الجنَّةِ، فزيادةُ كبدِ حوتٍ، وإذا سبقَ ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المرأةِ نزَعَ الولدَ، وإذا سبقَ ماءُ المرأةِ ماءُ الرَّجُلِ نزَعَتْ» قال: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهدُ أنك رسولُ اللهِ. يا رسولَ اللهِ إنَّ اليهودَ قومٌ بهتٌ، وإنَّهم إنَّ يعلموا بإسلامي قبلَ أنْ تسألهمُ يبهتوني، فجاءتِ اليهودُ، فقال: «أيُّ رجلٍ عبدُ اللهِ فيكم؟» قالوا: خيرُنا وابنُ خيرِنا، وسَيِّدُنا وابنُ سَيِّدِنا قال: «أرأيتم إنَّ أسلمَ عبدُ اللهِ بنُ سلام؟» قالوا: أعاده اللهُ من ذلك، فخرَجَ عبدُ اللهِ، فقال: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ. قالوا: شرُّنا وابنُ شرِّنا، فانتقصوه. قال: هذا الَّذي كنتُ أخافُ يا رسولَ اللهِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٤٨٠).

قوله: «يخترف» أي يجتني من ثمارها.

وقوله: «زيادة كبد حوت»: هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد، وهي أطيها وأهناً الأظعمة.

قوله: «بُهت» أي: كذابون ممارون لا يرجعون إلى الحق. وهذا الحديث دليل على ما جُبل عليه اليهود من هذه الأخلاق الدنيئة والخلال الذميمة.

## باب

### الغزوات

٣٦٠٤- عن أبي إسحاق قال سألت زيد بن أرقم: كم غزوات مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشرة، قلت: كم غزاة النبي ﷺ؟ قال: سبع عشرة.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٤٧١)، ومسلم (١٢٥٤).

٣٦٠٥- عن زيد بن أرقم: أن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وأنه حج بعدما هاجر حجة واحدة، لم يحج بعدها: حجة الوداع قال أبو إسحاق: وبمكة أخرى.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٤٠٤)، ومسلم (١٢٥٤).

وقوله: «تسع عشرة غزوة» أراد الغزوات التي خرج فيها النبي ﷺ بنفسه سواء قاتل أو لم يقاتل.

٣٦٠٦- عن ابن بريدة، حدثنني أبي: أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وقاتل في ثمان، وبعث أربعاً وعشرين سرية، قاتل يوم بدر، ويوم أحد، والأحزاب، والمريسيع، وقديد، وخيبر، ومكة، وحنين.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (١٨١٤) عن سعيد بن محمد عن أبي ثُميلة عن الحسين بن واقد، ولم يذكر البعوث، ولم يُسمَّ ما قاتل فيه.

وقال معمر عن الزهري عن النبي ﷺ: أربعاً وعشرين غزوة.

قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: قد ذكرتُ في كتاب «الإكليل» على الترتيب بعوث النبي ﷺ وسراياه زيادةً على المِئَةِ.

## باب

### غزوة بدر

كَانَتْ غَدَاةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ شَهْرًا مِنَ الْهَجْرَةِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] أَي: عَدَدُكُمْ قَلِيلٌ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، يَعْنِي: يَوْمَ بَدْرِ كَانَ فِيهِ فُرْقَانٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يَوْمَ الْفَتْحِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، أَي: فَتْحًا وَنَصْرًا.

٣٦٠٧- عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرِ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٩٥٨)، والنهر المذكور هنا هو نهر الأردن.

٤٦٠٨- عن طارق بن شهاب قال: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنَ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهَدًا لِأَنَّ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ

مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى، النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى، اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ، وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ.

أخرجه البخاري (٣٩٥٢).

قوله: «مِمَّا عُدِلَ بِهِ» أي وُزِنَ، يعني من كل شيء يُقابل ذلك من الدنيويات. والمرادُ المبالغةُ في عظمة ذلك المشهد. وفي هذا دليلٌ على تنافس الصحابة في فعل الخيرات وتسابقهم في نصرة هذا الدين العظيم، فأثابهم الله على ذلك بتوطئة أكتاف الأرض، وإحلال رضوانه عليهم.

٣٦٠٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ أَنْشُدْكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٩٥٣).

قوله: «أَنْشُدْكَ» أي: أطلب منك.

٣٦١٠- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «هَذَا جَبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٩٩٥).

٣٦١١- عَنْ سِمَاكِ الْحَنْفِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَذَاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. قَالَ أَبُو زَمِيلٍ - هُوَ سَمَاكُ الْحَنْفِيِّ -: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَسْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةَ بِالسُّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمُ حَيْرُومُ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ، فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفَهُ، وَشَقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السِّيفِ، فَاخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ. فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٧٦٣).

وقوله: «كذاك» هو بمعنى كفاك.

قيل في معنى هذا الحديث، ومناشدة النبي ﷺ، وقول أبي بكر: حسبك يا رسول الله فإنه سينجزك ما وعدك: ليس ذلك لأن حال أبي بكر في الثقة بربه كان أرفع، ولا يجوز لأحد أن يظن ذلك، والمعنى فيه الشفقة منه عليه السلام على

قلوب أصحابه، والتقوية لِمُنْتَهَمِهِمْ إِذْ كَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَشْهَدِ شَهِدِهِ، وَكَانُوا مَكْثُورِينَ بِأَضْعَافٍ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَابْتَهَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ يُسَكِّنُ بِذَلِكَ مَا فِي نَفْسِهِمْ، إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ دَعْوَتَهُ مُسْتَجَابَةٌ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: حَسْبَكَ كَفَّ مِنَ الدُّعَاءِ إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ اسْتَجِيبَ دَعَاؤُهُ بِمَا وَجَدَهُ أَبُو بَكْرٍ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْمُثَنِّ وَالقُوَّةِ حَتَّى قَالَ هَذَا الْقَوْلَ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ: ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرُ﴾ [القمر: ٤٥] وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَهَذَا مُسْتَفَادٌ مِنْ كَلَامِ الْخَطَّابِيِّ كَمَا نَقَلَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» ٣٣٨/٧.

٣٦١٢- عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثُهُ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَصْلَحَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ. قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمْ الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضْرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ. قَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟» فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبَهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ» وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَمْرٍو، وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٩٦٤)، وأخرجه مسلم (١٧٥٢) وفيه: تمنيتُ أن أكون بين أضلعَ منهما، أي: أقوى.

وقوله: «الأعجل منا» يعني الأقرب أجلاً.

٣٦١٣- عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقُدِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرِ خَيْبِثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ، أَقَامَ بِالْعَرِصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ يَبْدُرُ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ، أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ، فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا، ثُمَّ مَشَى، وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نَرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ أَيْسَرُكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ قَالَ: فَقَالَ: عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَكَلَّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟! قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ». قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَضْغِيرًا وَنِقْمَةً وَحَسْرَةً وَنَدْمًا.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٠٦٥)، ومسلم (٢٨٧٥).

الصناديد: العظماء، يقال: رجل صَندِيد. والطَّوِيُّ: البئر المطوية، وهي التي ضُرِسَتْ، أي: طُوِيَتْ بالحجارة لثلاث تنهار.

وقوله عز وجل: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ [فاطر: ٢٢] أراد به الكفار الذين هم صُمَّ عن الهدى لا تقدِرُ أنت على هدايتهم كما قال جلَّ ذكره: ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ [النمل: ٨١].

وروي عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: كنا مع عمر رضي الله عنه بين مكة والمدينة، أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ﷺ يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: لهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ. أخرجه مسلم (٢٨٧٣).

## بَابُ

### غزوة بني النضير

قَالَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ: كَانَتْ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقَعَةِ بَدْرٍ قَبْلَ أُحُدٍ، وَجَعَلَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ بَعْدَ بَيْتِ مَعُونَةَ وَأُحُدٍ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ سُورَةُ الْحَشْرِ، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ النَّضِيرِ. وَالْحَشْرُ: الْجَلَاءُ وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي النَّضِيرِ أَوَّلُ مَنْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُجْلُوا. قَالَ الزُّهْرِيُّ: هُوَ أَوَّلُ حَشْرِ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ يُحْشَرُ النَّاسُ إِلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِذَلِكَ قَالَ: ﴿لَأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾.

٣٦١٤- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَأَقْرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَارَبَتِ قُرَيْظَةَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْضَهُمْ لِحَقْوَا بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَنَهُمْ، وَأَسْلَمُوا، وَأَجَلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٠٢٨)، ومسلم (١٧٦٦).

٣٦١٥- عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، قَالَ:  
وَلَهَا يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيْقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ  
هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٣٢)، وَمُسْلِمٌ (١٧٤٦).

والشعر في ديوان حسان ٩٤/١ قاله ردّاً على جبل بن جوال الثعلبي: وكان  
يهودياً ثم أسلم، والسَّراةُ: السادةُ جمع سريّ. قال الفيومي في «المصباح المنير»:  
(سرى): وهو جمعٌ عزيز لا يكاد يوجد له نظيرٌ، لأنه لا يجمع فعيل على فعلة.

والبؤيرة: مصغر بورة وهي الحفرة، وهي هنا مكان معروف بين المدينة وبين  
تيماء، وهي من جهة قبلة مسجد قباء إلى جهة الغرب، ومستطير: مشتعل.

٣٦١٦- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: حَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ،  
وَقَطَعَ وَهِيَ الْبُؤَيْرَةُ، فَنَزَلَتْ ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ [الحشر: ٥].  
وَاللِينَةُ: النخلة.

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٣١)، وَمُسْلِمٌ (١٧٤٦).  
وقد سبقت الإشارة إلى جواز قطع الأشجار المثمرة إذا كان في ذلك مصلحةٌ  
ولا سيّما في الحروب نكايةً بالعدوّ وتوهيناً لقوّته.

## بَابُ

### غَزْوَةِ أَحَدَ

وَكَانَ قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَقَتْلُ أَبِي رَافِعِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ قَبْلَهُ،  
قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ  
مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ

اللَّهُ وَعَدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ﴿[آل عمران: ١٥٢]، أَي: تَقْتُلُونَهُمْ  
وَتَسْتَأْصِلُونَهُمْ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى  
أَحَدٍ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، كُلُّ مَنْ ابْتَدَأَ وَجْهًا مِنْ سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَهُوَ  
فِي ابْتِدَائِهِ مُصْعِدٌ، وَفِي رُجُوعِهِ مُنْحَدِرٌ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:  
﴿فَأَنَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، أَرَادَ غَمًّا بِغَمِّ مُتَّصِلًا، فَالْغَمُّ  
الْأَوَّلُ: الْجِرَاحُ وَالْقَتْلُ، وَالْغَمُّ الثَّانِي: مَا أُلْقِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ النَّبِيِّ  
ﷺ، فَأَنَسَاهُمْ الْغَمَّ الْأَوَّلَ.

٣٦١٧- عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ،  
رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ  
تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةٌ تَقُولُ: لَا نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي  
الْمُنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨]، وَقَالَ: «إِنَّهَا  
طَبِيبَةٌ تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ».

هذا حديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٠٥٠)، ومسلم (٢٧٧٦).

قوله تعالى: ﴿والله أركسهم﴾ قال الطبري ٧/٩: يعني بذلك: والله ردهم إلى  
أحكام أهل الشرك في إباحة دمانهم وسبي ذراريهم، والإركاس: الرد، ومنه قول  
أمية ابن أبي الصلت:

فأركسوا في حميم النار إنهم كانوا عصاة وقالوا الإفك والزورا

٣٦١٨- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ  
ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوَّبٌ عَلَيْهِ بِحَجْفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو  
طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ  
الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجُعْبَةَ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ،

فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ  
وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ،  
وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ، وَإِنْتَهُمَا الْمُشْمِرَتَانِ،  
أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا، تُنْقِرَانِ الْقِرْبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، تُفْرِعَانِهِ فِي أَفْوَاهِ  
الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ، فَتَمْلَأْنِيهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ، فَتُفْرِعَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ،  
وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلَاثًا.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٨١١) و(٤٠٦٤)، وأخرجه  
مسلم (١٨١١) وقال: إمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلَاثًا مِنَ النَّعَاسِ.

قوله: مُجَوَّبٌ مِنَ الْجَوْبِ، وَهُوَ الثَّرْسُ، وَجَمَعَهُ أَجْوَابٌ يُرِيدُ: مُتَرَسٌّ عَلَيْهِ  
بِحِجْفَةٍ، وَهِيَ الثَّرْسُ، وَالْحَدْمُ جَمْعُ خَدَمَةٍ، وَهِيَ الْخَلْخَالُ. تُنْقِرَانِ، يُقَالُ: نَقَرَ  
وَقَفَرَ نَقْرَانًا وَقَفْرَانًا: إِذَا وَثَبَ. وَيُرْوَى: تُفْرِعَانِ الْقِرْبَ، أَي: تَحْمَلَانِهَا.

قوله: وَكَانَ شَدِيدَ النَّزْعِ، أَي: مَاهِرًا فِي رَمِي السِّهَامِ.

وقد استدلل الإمام النووي بهذا الحديث على جواز غزو النساء مع الرجال، ولا  
سيما إذا اشتدت الحاجة كأن يكون هناك عدو صائل على بلاد المسلمين.

٣٦١٩- عن قتادة، حدثنا أنس أن أبا طلحة قال: غَشِينَا النَّعَاسُ،  
وَنَحْنُ فِي مَصَافِنَا يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَأَخَذُهُ  
وَيَسْقُطُ وَأَخَذُهُ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٠٦٨).

٣٦٢٠- عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ  
أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ، مَا  
رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦) (٤٧) وزاد في رواية عنده (٢٣٠٦) (٤٦): يعني جبريل وميكائيل.

٣٦٢١- عَنْ أَبِي حازِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ كَانَ يَسْكُبُ الْمَاءَ، وَيَمَّا دُوِي. كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَغْسِلُهُ، وَعَلَيَّ يَسْكُبُ الْمَاءَ بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ، فَأَحْرَقَتْهَا، فَأَلْصَقَتْهَا، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ يَوْمَئِذٍ، وَجُرِحَ وَجْهُهُ، وَكُسِرَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٠٧٥)، ومسلم (١٧٩٠).

«الرَّبَاعِيَّة» هي بتخفيف الباء الموحدة، وهي السنُّ التي تلي الثنية من كل جانب. وفي ذلك دليل على وقوع الابتلاء والانتقام بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لينالوا جزيل الأجر، ولتعرف أممهم وغيرهم ما أصابهم فَيَتَّأَسُوا بِهِمْ. وَيُلْعَلِمَ أَنَّهُمْ مِنَ الْبَشَرِ تُصِيبُهُمْ مِحْنُ الدُّنْيَا لِيَتَيَقَّنَ النَّاسُ أَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ فَلَا يُفْتَنُّ بِمَا ظَهَرَ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ.

وفي الحديث أيضاً: إثبات المداواة ومعالجة الجراح، وأنه لا يقدح في التوكُّل لأن النبي ﷺ فعله مع قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٣٩٠/٦.

٣٦٢٢- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: مَا نَعْلَمُ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ أَكْثَرَ شَهِيداً أَعْرَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ قَتَادَةُ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ بَيْرٍ مَعُونَةَ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

سَبْعُونَ. قَالَ: وَكَانَ بِثُرِّ مَعُونَةَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ  
عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ.

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٧٨).

٣٦٢٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ:  
أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ، فَأَيُّنَ أَنَا؟ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ» فَأَلْقَى تَمْرَاتٍ فِي يَدِهِ،  
ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٤٦)، وَمُسْلِمٌ (١٨٩٩).

وَقَدْ زَعَمَ أَبُو بَشِيرٍ فِي «غَوَامِضِ الْأَسْمَاءِ الْمُبْهَمَةِ» ١/١٨٦: أَنَّ الرَّجُلَ  
الْمَذْكُورَ هُوَ عَمِيرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» ٧/٤١١: وَسَبَقَهُ  
إِلَى ذَلِكَ الْخَطِيبُ وَاحْتَجَّ بِمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٩٠١) وَذَكَرَ عَمِيرُ بْنُ الْحَمَامِ، لَكِنْ  
نَصَّ أَبُو بَكْرِ بْنُ مَالِكٍ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ. فَلَعَلَّ الْقَصَتَيْنِ مُتَغَايِرَتَانِ.

وَفِي الْحَدِيثِ بَيَانٌ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ مِنْ حُبِّ نَصْرِ الْإِسْلَامِ، وَالرَّغْبَةِ فِي  
الشَّهَادَةِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَفِيهِ: جَوَازُ الْإِنْغِمَارِ فِي صُفُوفِ الْكُفَّارِ، وَالتَّعَرُّضُ لِلشَّهَادَةِ، وَهُوَ جَائِزٌ بِلَا  
كِرَاهَةٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ.

## بَابُ

### قَتْلُ أَهْلِ بَثْرِ مَعُونَةَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَحَدِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَكَانَ بَعْدَ أُحُدٍ  
قَتْلُ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي عَشْرَةِ عَيْنَاءَ،  
وَأَمَرَهُ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلَهُ حَيٌّ مِنْ بَنِي لَحْيَانَ مَعَ سَبْعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ،  
وَأَسْرُوا خُبَيْبًا وَزَيْدَ بْنَ الدَّثَنَةَ، فَبَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، ثُمَّ قَتَلَا.

وهذا ثابتٌ في «صحيح البخاري» (٤٠٨٦).

٣٦٢٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رِغْلًا وَذَكَوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لَحْيَانَ اسْتَمَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَدُوٍّ، فَأَمَدَهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ حَتَّى كَانُوا بِبِثْرِ مَعُونَةَ، قَتَلُوهُمْ، وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ: عَلَى رِغْلِ وَذَكَوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لَحْيَانَ، قَالَ أَنَسٌ: فَقَرَأْنَا فِيهِمْ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ: بَلَّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِي عَنَّا وَأَرْضَانَا.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٠٩٠)، ومسلم (٦٧٧).

كانت وقعة بئر معونة في صفر من السنة الرابعة للهجرة. ومُلَخَّصًا كما قال ابن القيم في «زاد المعاد» ٢٤٦/٣: أَنَّ أَبَا بَرَاءَ عَامِرَ بْنَ مَالِكِ الْمَدْعُوَ مَلَاعِبَ الْأَسْنَةَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُسَلِّمْ وَلَمْ يَبْعُدْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ بَعَثْتَ أَصْحَابِكَ إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ يَدْعُونَهُمْ إِلَى دِينِكَ، لَرَجَوْتُ أَنْ يُجِيبُوهُمْ، فَقَالَ: «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ»، فَقَالَ أَبُو بَرَاءَ: أَنَا جَارٌ لَهُمْ، فَبَعَثَ مَعَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو، وَكَانُوا مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ وَفَضْلَائِهِمْ وَقُرَائِهِمْ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى بِثْرِ مَعُونَةَ اسْتَنْفَرَ عَلَيْهِمْ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ بَنِي عَامِرٍ فَلَمْ يُجِيبُوهُ لِأَجْلِ جَوَارِ أَبِي الْبَرَاءِ، فَاسْتَنْفَرَ بَنِي سَلِيمٍ، فَأَجَابَتْهُ رِغْلٌ وَذَكَوَانَ وَعُصَيَّةَ، فَأَحَاطُوا بِالصَّحَابَةِ وَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ إِلَّا كَعْبَ بْنَ زَيْدِ ابْنِ النَّجَّارِ، فَوَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلِ بِثْرِ مَعُونَةَ مَا لَمْ يَجِدْهُ عَلَى غَيْرِهِمْ وَمَكَثَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى قَاتِلِيهِمْ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ الشَّافِعِيَّةُ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْقَنُوتِ فِي جَمِيعِ الصَّلَاةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةً.

## باب

### غزوة الخندق وهي الأحزاب

قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: كَانَتْ فِي شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ [الأحزاب: ١٠] قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ.

أما تسميتها بالخندق. فمن أجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ، وكان الذي أشار بذلك سلمان الفارسي فيما ذكره أصحاب المغازي، وأما تسميتها بالأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم: قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم. وانظر خبر هذه الغزوة في ابن هشام ٢٢٦/٣، وابن سعد ١/٢، ٤٧، والطبري ٤٣/٣، و«أنساب الأشراف» ١٦٥/١، وابن سيد الناس ٥٤/٢، وابن كثير ٩٢/٤، و«زاد المعاد» ٢٦٩/٣، و«شرح المواهب» ١١٨/٢.

وقوله: «كانت في سنة أربع» علقه البخاري ٣٠٢/٧ وقال الحافظ: هكذا روينا في مغازيه وتابع موسى على ذلك مالك، وأخرجه أحمد عن موسى ابن داود عنه، وقال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة خمس، وبذلك جزم غيره من أهل المغازي، قال ابن القيم: وهو الأصح، وقطع به الذهبي، واعتمده الحافظ.

٣٦٢٥- عن حُمَيْدِ الطَّوِيلِ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَخْفِرُونَ فِي عِدَاةِ

بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَيْدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ  
النَّصَبِ وَالْجُوعِ قَالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ فَاعْفِرِ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ  
فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا  
هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٠٩٩).

و«النَّصَبُ»: التعبُّ.

وقوله: «إِنَّ الْعَيْشَ» أي: العيش المعتبر هو عَيْشُ الْآخِرَةِ حيث النعيم  
المقيم، قاله ﷺ حثًا لهم على مواصلة العمل.

٣٦٢٦- عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ  
حَتَّى اغْمَرَ بَطْنَهُ، أَوْ اغْبَرَ بَطْنَهُ يَقُولُ:

وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا  
فَأَنْزَلَسُنَّ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَنَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا  
إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَعَّوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْبِنَا  
وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: أَيْبِنَا أَيْبِنَا.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤١٠٤)، ومسلم

(١٨٠٣).

قوله: اغمر، يقال: غمرت الشيء: إذا سترته، وماء غمر، إذا علا كل شيء فستره، واغبر من الغبار.

٣٦٢٧- عن عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه قال: أتيت جابر بن عبد الله، فقال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل»، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول، فضرب، فعاد كئيباً أهيل، أو أهيم، فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لإمرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، فقال: «كم هو؟» فذكرت له، فقال: «كثير طيب»، قال: «قل لها: لا تنزع البرمة، ولا الخبز من التور حتى آتي». قال: «قوموا»، فقام المهاجرون، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: «ادخلوا ولا تضغطوا». فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة، والتور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع، فلم يزل يكسر ويعرف حتى شبوا، وبقي بقيّة، قال: «كلي وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة».

وَرَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ عَنْ جَابِرٍ وَقَالَ: ذَبَحْنَا بُهَيْمَةَ وَطَحْنَتْ صَاعاً  
مِنْ شَعِيرٍ، وَقَالَ: وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

قوله: فَعَرَضَتْ كُذْيَةَ، أي: قطعة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس  
والمِعْوَلُ، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾ [النجم: ٣٤]  
أي: قطع العطاء، يقال: أكدى الحافر: إذا بلغ الكذبة، فقطع الحفر.

وقوله: أَهَيْلَ. الأَهَيْلُ والهَيْالُ: السَّيَالُ، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿كثيلاً  
مهياً﴾ أي: مصوباً سائلاً، يقال: تَهَيْلَ الرَّمْلُ: إذا سال، ومن روى: «أهيم»،  
يقال: كثيبٌ أهيمٌ، وكُتبانٌ هيمٌ، والهيمُ: الرَّمالُ التي لا يُزويها ماءُ السماء، وبه  
فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ [الواقعة: ٥٥].

و«العناق»: الأنثى من أولاد المعز. و«البرمة»: القدر.

والحديث معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، ولذلك أخرجه البيهقي في «دلائل  
النبوة» ٤٢٢/٣، وجعله الماوردي في «أعلام النبوة»: ١٦٨ نظير معجزة عيسى  
عليه السلام في المائدة.

٣٦٢٨- عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ حِينَ  
أَجْلِيَ الْأَحْزَابُ عَنْهُ: «الآن نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤١٠٩). وفيه إشارة إلى أنهم رجعوا  
بغير اختيارهم بل بصنع الله تعالى لرسوله ﷺ.

وفيه: علمٌ من أعلام النبوة، فإنه ﷺ اعتمر في السنة القابلة، فصدته  
قريش عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها، فكان ذلك سبب  
فتح مكة.

٣٦٢٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَعَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤١١٤)، ومسلم (٢٧٢٤).

## بابُ

### خروج النبي ﷺ إلى بني قريظة

٣٦٣٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: حِبَّانُ بْنُ الْعَرِيقَةِ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ، فَضْرَبَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْمَةَ فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السَّلَاحَ وَاعْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْعُبَارِ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ، أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَزَلُّوا عَلَى حُكْمِهِ، فَرَدَّ الْحُكْمَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ يُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسَبَى النِّسَاءُ وَالذَّرِيَّةُ، وَأَنْ تُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ. قَالَ هِشَامُ بْنُ عَرُوةَ رَاوِي الْحَدِيثِ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ سَعْدًا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رَسُولَكَ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ، فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتُ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَأَجْرُهَا، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا، فَأَنْفَجَرْتُ مِنْ لَبْتِهِ، فَلَمْ يَرُعْهُمْ - وَفِي

المَسْجِدِ خَيْمَةً مِنْ بَنِي غِفَارٍ - إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ  
الْخَيْمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحَهُ دَمًا  
فَمَاتَ مِنْهَا.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩).

قوله: «الأَكْحَلُ»: هو عِزْقٌ في وسط الذراع.

و«اللَّبَّةُ»: موضع القلادة من الصدر. وكان موضع الجرح قد ورمَ حتى  
وصل الورمُ إلى صدره فانفجر من هناك.

قوله: «يغذو» أي: يسيل.

وفي الحديث من الفقه: جواز التحكيم في أمور المسلمين وفي مهماتهم  
العظام، وهذا إجماعٌ ولم يُخالف فيه إلا الخوارج.

وفيه: جوازُ مصالحة أهل قريةٍ أو حصنٍ على حكم حاكم مسلمٍ عدلٍ  
صالحٍ للحكم أمينٍ على هذا الأمر.

وفيه: جواز النوم في المسجد، وجواز مكث المريض فيه إن كان جريحاً.

ولم يتممَّ سعدٌ الموت بسبب ضررٍ نزل به، بل تمنى انفجار الجرح ليموت  
شهيداً رضوان الله عليه.

٣٦٣١- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعاً فِي زُقَاقِ بَنِي  
عَنَمٍ مَوْكِبِ جَبْرِيلَ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤١١٨).

٣٦٣٢- عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «لَا  
يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي

الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ  
نُصَلِّي لَمْ يَرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنَّفْ وَاحِدًا  
مِنْهُمْ.

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤١١٩)، ومسلم  
(١٧٧٠).

قوله: «لَا يُصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ». قال الحافظ في «الفتح» ٤٧١/٧: كذا وقع  
في جميع النسخ عند البخاري، ووقع في جميع النسخ عند مسلم «الظهر» مع  
اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد، وقد وافق  
مسلماً أبو يعلى وآخرون، وكذلك أخرجه ابن سعد عن أبي عتبان مالك بن  
إسماعيل عن جويرية بلفظ «الظهر» وابن حبان من طريق أبي عتبان كذلك،  
ولم أراه من رواية جويرية إلا بلفظ الظهر، غير أن أبا نعيم في «المستخرج»  
أخرجه من طريق أبي حفص السلمي عن جويرية فقال: «العصر» وأما أصحاب  
المغازي، فاتفقوا على أنها العصر، وانظر تمام كلامه فيه.

وقوله: «فَلَمْ يُعَنَّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ» قال المازري في «المُعَلِّم» ٢١/٣: هذا  
فيه دلالة على أن الإثم موضوع في مسائل الفروع، وأن كل مجتهد غير ملوم  
فيما أذاه إليه اجتهاده بخلاف مسائل الأصول، وكان هؤلاء لما تعارضت  
الأدلة، فالأمر بالصلاة لوقتها يوجب تعجيلها قبل بني قريظة، والأمر بأن لا  
يُصَلَّى إِلَّا فِي بَنِي قَرِيظَةَ يوجب التأخير وإن فات الوقت، فأبي الظاهرين يُقَدِّمُ،  
وأبي العمومين يُسْتَعْمَلُ؟ هذا موضع الإشكال للنظر فيه مجال وانظر «زاد  
المعاد» ١٣١/٣.

## باب

### غزوة ذات الرقاع

وَهِيَ غَزْوَةٌ مُحَارِبٍ خَصْفَةَ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي عَطْفَانَ فَنَزَلَ  
نَخْلًا (مكان من المدينة على يومين) وَهِيَ بَعْدَ خَيْبَرَ، لِأَنَّ أَبَا مُوسَى  
جَاءَ بَعْدَ خَيْبَرَ.

ذكره البخاري معلقاً قبل الحديث (٤١٢٥).

وَقَالَ أَبُو مُوسَى: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ  
بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَتَقَبَّتْ أَقْدَامُنَا، وَتَقَبَّتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي،  
فَكُنَّا نَلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةٌ ذَاتِ الرَّقَاعِ.

أخرجه البخاري (٤١٢٨)، ومسلم (١٨١٦).

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَتْ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ. وَغَزْوَةُ بَنِي الْمُضْطَلِقِ مِنْ  
حُزَاعَةَ - وَهِيَ غَزْوَةُ الْمُرَيْسِيعِ - قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: سَنَةَ أَرْبَعٍ،  
وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: سَنَةَ سِتٍّ فِي شَعْبَانَ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: حَدِيثُ  
الْإِفْكِ فِي غَزْوَةِ الْمُرَيْسِيعِ.

٣٦٣٣- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ  
نَجْدٍ، فَوَازَيْنَا الْعَدُوَّ، فَصَافَفْنَاهُمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا،  
فَقَامَتْ طَائِفَةٌ مَعَهُ، وَأَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَدُوِّ، فَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
بِمَنْ مَعَهُ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَكَانَ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَمْ  
تُصَلِّ، فَجَاؤُوا فَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِمْ رُكْعَةً، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ  
سَلَّمَ، فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَرَكَعَ لِنَفْسِهِ رُكْعَةً، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٩٤٢). وقد سبق الكلامُ على فقه صلاة الخوف.

## بابُ

### عمرة الحُدَيْبِيَّةِ وبيعة الرضوان

كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةً سِتِّ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] أَي: قَضَيْنَا لَكَ قَضَاءً مَفْضُولًا، فِيمَا اخْتَارَ اللَّهُ لَكَ مِنْ مُهَادَنَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَمُوَادَعَتِهِمْ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَالْفَتْحُ يَكُونُ صُلْحًا، وَيَكُونُ عَنُودًا. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

والحديبية: قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم وهي على تسعة أميال من مكة.

٣٦٣٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قَالَ: الْحُدَيْبِيَّةُ، قَالَ أَصْحَابُهُ: هِنِيئًا مَرِيئًا فَمَا لَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الفتح: ٥] قَالَ شُعْبَةُ: فَقَدِمْتُ الْكُوفَةَ، فَحَدَّثْتُ بِهَذَا كُلِّهِ عَنْ قَتَادَةَ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: أَمَا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَمَا «هِنِيئًا مَرِيئًا» فَعَنْ عِكْرَمَةَ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤١٧٢).

٣٦٣٥- عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتَحَ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِئَةً، وَالْحُدَيْبِيَّةُ: بَيْتْرٌ فَتَزَحَّنَاهَا، فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا

قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَاهَا، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا، ثُمَّ دَعَا  
بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَضَمَصَ وَدَعَا، ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا، فَتَرَكَهَا غَيْرَ  
بَعِيدٍ، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْهَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرَكَابُنَا.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤١٥٠).

وقوله: «ونحن نعدُّ الفتح بيعة الرضوان» فسره الزهري بقوله: لم يكن في  
الإسلام فتحٌ قبل فتح الحديبية أعظم منه، إنَّما كان الكفر حيث القتال، فلما  
أَمِنَ النَّاسُ كُلَّهُمْ كَلَّمَهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمَنَازَعَةِ، وَلَمْ  
يَكُنْ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا بَادَرَ إِلَى الدُّخُولِ فِيهِ، فَلَقَدْ دَخَلَ فِي تِلْكَ  
السُّنَّتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ. ذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي  
«الفتح» ٥٠٦/٧ وفي هذا دليلٌ على أنَّ الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى بيعةٍ  
أَمَنَةٍ يَتَّقِلُ النَّاسُ فِيهَا مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ.

٣٦٣٦- عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِسَلْمَةَ بِنِ الْأَكْوَعِ:  
عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ؟ قَالَ عَلَى الْمَوْتِ.  
هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤١٦٩)، ومسلم (١٨٦٠).

وقال معقل بن يسار: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفرَّ.  
أخرجه مسلم (١٨٥٨).

قال أبو عيسى: معنى الحديثين صحيحٌ، بايعه جماعةٌ من أصحابه على  
الموت، أي: لا نزال نقاتل بين يديك ما لم نُقتل، وبايعه آخرون، وقالوا: لا  
نفرَّ.

٣٦٣٧- عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَحَالَ كُفَّارٌ  
قُرَيْشِيٌّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحُدَيْبِيَّةِ،

وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ، وَلَا يَحْمِلَ سِلَاحاً عَلَيْهِمْ إِلَّا  
سُيُوفاً، وَلَا يُقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحْبَبُوا، فَاعْتَمَرَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَدَخَلَهَا  
كَمَا كَانَ صَالِحُهُمْ، فَلَمَّا أَقَامَ ثَلَاثًا، أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ، فَخَرَجَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٥٢).

## باب

### غزوة ذي قرد

ذو قردٍ بفتح القاف والراء وهو ماءٌ على نحوِ اثني عشر ميلاً من المدينة.

وَهِيَ الْغَزْوَةُ الَّتِي أُغَارُوا عَلَى لِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ خَيْبَرَ  
بِثَلَاثِ لَيَالٍ وَبِهِ جَزْمُ الْبُخَارِيِّ.

٣٦٣٨- عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ  
يَقُولُ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَدَّنَ بِالْأُولَى، وَكَانَتْ لِقَاحِ النَّبِيِّ ﷺ تَزْعَى  
بِذِي قَرْدٍ، قَالَ: فَلَقِينِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذْتُ  
لِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ: غَطَفَانُ، قَالَ:  
فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهُ، قَالَ: فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتِي  
الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ وَقَدْ أَخَذُوا يَسْقُونَ  
مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي وَكُنْتُ رَامِيًا وَأَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ الْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ

وَأَرْتَجِرُ حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللَّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً،  
قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ  
الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَأَبَعْتُ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ

مَلَكَتْ فَأَسْجِحُ» قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا وَوُزِدْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ  
حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤١٩٤)، ومسلم (١٨٠٦).

واللَّقَاحُ: الثُّوقُ ذَوَاتِ الدَّرِّ، وَاحْدَتُهَا لِقْحَةٌ.

وقوله: اليَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ، أي: يَوْمَ هَلَاكِ اللُّثَامِ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَيْثِمٌ رَاضِعٌ  
وَهُوَ الَّذِي رَضَعَ اللُّؤْمَ، كَمَا يُقَالُ: رَاكِعٌ وَرُكَّعٌ، وَخَاشِعٌ وَخُشِعٌ، يُقَالُ: رَضَعَ  
أُمَّهُ يَرْضِعُ، وَرَضَعَهَا. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَلَكَتْ فَأَسْجِحُ» أَي: أَحْسِنِ  
العَفْوَ، وَالإِسْجَاحُ: حُسْنُ العَفْوِ.

وفي الحديثِ مِنَ الفقه: جَوَازُ افْتِخَارِ الإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ فِي سَاحَاتِ القِتَالِ  
وَالتَمَدُّحِ بِالشَّجَاعَةِ لِیُوقِعَ الرُّعْبَ فِي قَلْبِ خَصْمِهِ.

باب

غزوة خيبر

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَتْ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ.

٣٦٣٩- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى  
خَيْبَرَ، فَسِرْنَا لَيْلًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ لِعَامِرِ بْنِ الأَكْوَعِ: أَلَا  
تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا، فَزَلَّ يَحْدُو بِالقَوْمِ  
يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا      وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا  
فَاغْفِرْ فِدَاءَ لَكَ مَا افْتَفَيْنَا      وَثَبَّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا  
وَأَلْقَيْنُ سَكِينَةً عَلَيْنَا      إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَبِينَا

## وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟» فَقَالُوا: عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ، فَقَالَ: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَجِبْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْلَا أَمْنَعْتَنَا بِهِ، قَالَ: فَاتَيْنَا خَيْبَرَ، فَحَاصَرْنَاهُمْ حَتَّى أَصَابَتْنا مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ الْيَوْمَ الَّذِي فَتَحَتْ عَلَيْهِمْ، أَوْقَدُوا نِيرَانًا كَثِيرَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا هَذِهِ النَّيْرَانُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوقِدُونَ؟» قَالُوا: عَلَى لَحْمٍ، قَالَ: عَلَى أَيِّ لَحْمٍ؟ قَالُوا: عَلَى لَحْمِ حُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهْرِيقُوهَا وَأَكْسِرُوهَا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْنَهْرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قَالَ: «أَوْ ذَاكَ» قَالَ: فَلَمَّا تَصَافَّ الْقَوْمُ، كَانَ سَيْفُ عَامِرٍ فِيهِ قِصْرٌ، فَتَنَاولَ بِهِ يَهُودِيًّا لِيَضْرِبَهُ وَيَرْجِعُ ذُبَابُ سَيْفِهِ، فَأَصَابَ رُكْبَةَ عَامِرٍ، فَمَاتَ مِنْهُ، فَلَمَّا قَفَلُوا، قَالَ سَلَمَةُ: رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَاحِبًا، فَقَالَ لِي: «مَالِكَ؟» قُلْتُ: فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ. قَالَ: «مَنْ قَالَهُ؟» قُلْتُ: قَالَهُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ وَأَسِيدُ بْنُ الْحُضَيْرِ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبَ مَنْ قَالَهُ إِنَّ لَهُ لِأَجْرَيْنِ» وَجَمَعَ بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِيٌّ نَشَأَ بِهَا مِثْلُهُ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٢).

قوله من هنيهاتك، أي: من أراجيزك وهي تصغير هنة، كما يقال سنةٌ وسُنِيهةٌ.

قوله: عَوَّلُوا عَلَيْنَا، أي: أجلبوا بالصوت علينا من العويل، يقال: أعولت المرأة وعولت.

وقد استشكل المازري في «المُعَلِّم» ٢٩/٣ قول سلمة بن الأكوع: «فاغفر فداءً لك ما اقتفينَا»، فإنه لا يقال: أفدي الباري تعالى، ولا يقال للباري سبحانه: فديتك، لأن ذلك إنما يستعمل في مكروه يُتَوَقَّعُ حُلُولُهُ ببعض الأشخاص فيُحِبُّ شَخْصٌ آخَرَ أن يحلَّ به ويُفْذِيهِ منه. ولعلَّ هذا وقع من غير قصدٍ منه إلى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله، وكما قال ﷺ: «وَيَلُّ أُمَّهُ مِسْعَرُ حرب» أو يكون فيه ضرب من الاستعارة، لأن الفادي لغيره قد بالغ في طلب رضا المفدي حتى بذل نفسه في محابته.

وقوله: «إنه لجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ» قال ابن الأنباري: العرب إذا بالغت في تعظيم شيء اشتقت له من لفظه لفظاً آخر على غير بنائه زيادة في التوكيد وأعربوه إعرابه فيقولون: جادٌ مجدٌ، وليل لائل، وشعر شاعر ونحو ذلك.

٣٦٤٠- عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيتُ أثرَ ضربةٍ في ساقِ سلمة، فقلتُ: يا أبا مسلمٍ ما هذه الضربةُ؟ فقال: هذه ضربةُ أصابَتْها يومَ خيبرٍ، فقال الناسُ: أصيبَ سلمةُ فأتيتُ إلى النبي ﷺ، فنفتَ فيها ثلاثَ نفثاتٍ، فما اشتكيتها حتى الساعة.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٢٠٦)، وأبو داود (٣٨٩٤).

٣٦٨٣- عن أبي هريرة قال: لما فُتِحَتْ خيبرُ، أُهديتُ لرسولِ الله ﷺ شاةٌ فيها سمٌّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «اجمَعُوا لي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ»، فجمَعُوا له، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونَ عَنِّي؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسمِ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟» قالوا: أبونا فلانٌ، فقال رسولُ الله ﷺ:

ﷺ: «كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ» فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَزْتَ، فَقَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ أَنَا سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آيِنَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟» فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخَلَّفُونَنَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْسَوْوا فِيهَا وَاللَّهِ لَا نَخْلُقُكُمْ فِيهَا أَبَدًا» ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا؟» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «مَا حَمَلَكُم عَلَى ذَلِكَ؟» فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا أَنْ نَسْتَرِيحَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٥٧٧٧).

وفي الحديث من الفقه: إخباره ﷺ عن الغيب، وتكليمُ الجمادِ له، ومعاندةُ اليهودِ لاعترافهم بصدقه فيما أخبر به عن أسم أبيهم وبما وقع منهم من دسيسة السمِّ، ومع ذلك عاندوا واستمروا على تكذيبه.

وفيه: قَتْلُ مَنْ قَتَلَ بِالسَّمِّ قِصَاصًا، وعن الحنفية إنما تجب فيه الدية، ومحلُّ ذلك إذا استكرهه عليه اتفاقاً. وأمَّا إذا دسَّه عليه فأكله ففيه اختلاف العلماء. أفاده الحافظ في «الفتح» ٢٥٧/١٠.

## بَابُ

### عُمْرَةُ الْقِضَاءِ

كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ، فَأَقَامَ ثَلَاثَ لَيَالٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ فِي عُمْرَةِ الْقِضَاءِ.

وقد اختلف في سبب تسميتها عمرة القضاء، فقليل: المراد: ما وقع من المقاضاة بين المسلمين والمشركين من الكتاب الذي كتب بينهم بالحديبية، فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الصلح ولذلك يقال لها: عمرة القضية، قال أهل اللغة: قاضى فلاناً: عاهده، وقاضاه: عاوضه، فيحتمل تسميتها بذلك لأمرين، قاله عياض، ورجح السهيلي تسميتها عمرة القصاص؛ لأن قوله تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾ [البقرة: ١٩٤] نزلت فيها على ما رواه ابن جرير (٣١٣١) بإسناد صحيح عن مجاهد، وانظر خبر عمرة القضاء في ابن هشام ١٢/٤، والطبري ٣/١٠٠، وابن سيد الناس ١٤٨/٢، وابن كثير ٢٢٦/٤.

٣٦٤٢- عن ابن أبي أوفى قال: لَمَّا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَتْرَانَهُ مِنْ غِلْمَانِ الْمُشْرِكِينَ وَمِنْهُمْ أَنْ يُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٢٥٥).

## باب

### غزوة مؤتة من أرض الشام

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: بَعَثَ فِي جُمَادَى الْأُولَى بَعْثَهُ [إِلَى الشَّامِ الَّذِينَ أُصِيبُوا بِمُؤْتَةَ] سَنَةَ ثَمَانٍ.

وهو قول موسى بن عقبة وغيرهما من أهل العلم بالسيرة.

٣٦٤٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ، فَجَعَفَرُ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرُ، فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلِ، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بَضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٦١).

٣٦٤٤- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّأْيَةَ زَيْدٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ الرَّأْيَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٦٢). وفيه من الفقه: جوازُ الإعلامِ بموتِ الميتِ ولا يكون ذلك من النعي المنهي عنه.  
وفيه: تعليق الإمارة بشرط، وتولية عدة أمراء بالترتيب.

وفيه: جواز التأمير في الحرب بغير تأمير، لأن المراد بقوله: «سيف من سيوف الله»، هو خالد بن الوليد رضي الله عنه. وقال الطحاوي في «شرح المشكل» ١٦٧/١٣: إنه جائزٌ لأحد المسلمين أن يتولّى شؤون الإمارة إذا غاب الإمام فيقوم مقامه حتى يحضر.

وفيه: جواز الاجتهاد في حياة النبي ﷺ. وفيه: علمٌ ظاهرٌ من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لخالد بن الوليد. أفاده الحافظ في «الفتح» ٥٨٦/٧.

٣٦٤٥- عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ يَقُولُ: لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ.

أخرجه البخاري (٤٢٦٦).

و«الصفحة»: السيف العريض. وفي الحديث دليلٌ على أنَّ المسلمين قتلوا كثيراً من المشركين، وأنَّ خالدًا باشر القتال بنفسه.

## باب

### غزوة الفتح

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَتَحَ مَكَّةَ لِعَشْرِ بَقِيَّةٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانَ.

وهو الفتح الذي أعزَّ الله به دينه ورسوله وجُنده، وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين. وهو الفتح الذي دخل الناسُ به في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجا ذكره ابن القيم في «زاد المعاد» ٣/٣٩٤.

٣٦٤٦- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنْ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ، وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانَ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، وَسَارَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ، يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّى بَلَغَ الْكَدِيدَ - وَهُوَ مَا بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ - أَفْطَرُوا وَأَفْطَرُوا.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَإِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْآخِرُ فَالْآخِرُ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٢٧٦)، ومسلم (١١١٣).

وفي الحديث دليلٌ لمذهب الجمهور: أَنَّ الصَّوْمَ وَالْفِطْرَ فِي السَّفَرِ جَائِزَانِ. وَأَنَّ الْمَسَافِرَ لَهُ أَنْ يَصُومَ بَعْضَ رَمَضَانَ دُونَ بَعْضٍ، وَلَا يُلْزِمُهُ بِصَوْمِ بَعْضِهِ إِتْمَامَهُ.

وقوله: «وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ الآخر فالآخر»: هذا محمولٌ على ما علموا منه النَّسَخُ أو رجحان الثاني مع جوازهما. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٤/٢٥١.

٣٦٤٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَحَوْلَ  
 الْبَيْتِ سِتُونَ وَثَلَاثُ مِئَةٍ نُصِبَ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ:  
 ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيءُ  
 الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُهُ﴾ [سبأ: ٤٩].

هذا حديث متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١).

النُّصْبُ: الصنمُ المنصوبُ للعبادة، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وما ذُبِحَ  
 على النُّصْبِ﴾ [المائدة: ٥].

وإنما فعل النبي ﷺ ذلك لإذلال الأصنام وعبادتها، ولإظهار أنها لا تنفع  
 ولا تضر، ولا تدفع عن نفسها شيئاً. وفي تلاوته ﷺ للآيتين دليلٌ على  
 استحباب تلاوتهما عند إزالة المنكر.

٣٦٤٨- عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُرْدِفٌ  
 أَسَامَةَ عَلَى الْقِصْوَاءِ، وَمَعَهُ بِلَالٌ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ حَتَّى أَنَاخَ عِنْدَ  
 الْبَابِ، ثُمَّ قَالَ لِعُثْمَانَ: اثْنَا بِالْمِفْتَاحِ، فَجَاءَهُ بِالْمِفْتَاحِ، فَفَتَحَ لَهُ  
 الْبَابَ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَسَامَةُ وَبِلَالٌ وَعُثْمَانُ، ثُمَّ غَلَّقُوا عَلَيْهِمُ  
 الْبَابَ، فَمَكَثَ نَهَاراً طَوِيلاً، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَبْتَدَرَ النَّاسُ الدُّخُولَ،  
 فَسَبَقْتُهُمْ، فَوَجَدْتُ بِلَالاً قَائِماً وَرَاءَ الْبَابِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ صَلَّى  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: صَلَّى بَيْنَ ذَيْنِكَ الْعَمُودَيْنِ الْمُقَدَّمَيْنِ - وَكَانَ  
 الْبَيْتُ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ شَطْرَيْنِ - صَلَّى بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ مِنَ الشَّطْرِ  
 الْمُقَدَّمِ، وَجَعَلَ بَابَ الْبَيْتِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَاسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الَّذِي  
 يَسْتَقْبِلُكَ حِينَ تَلِجُ الْبَيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِدَارِ قَالَ: وَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُ  
 كَمْ صَلَّى. وَعِنْدَ الْمَكَانِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَرْمَرَةٌ حَمْرَاءُ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٠٠).

و«القضاء» هي ناقة النبي ﷺ.

٣٦٤٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ، أَبِي أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْإِلَهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا، فَأُخْرِجَتْ، فَأُخْرِجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَمَا وَاللَّهِ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ» فَدَخَلَ الْبَيْتَ، فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ، وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٨٨). و«الأزلام»: السهام التي كانوا يستقسمون بها الخير والشر.

والاستقسام: هو طلبُ نصيبه الذي قُسم له، وقيل: هو التفكير والتروّي، يقال: تركت فلاناً يستقسم، أي: يفكر ويروي، ويقال: هو يُقسّم أمره، أي: يقدره ويدبره.

وفي الحديث من الفقه: كراهية الصلاة في المكان الذي فيه صور، لكونها مَظَنَّةَ الشُّرْكِ.

## بَابُ

### غزوة حنين

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [الآية [التوبة: ٢٥].

قال ابن كثير في «التفسير» ٣٥٦/٢: يذكر الله تعالى للمؤمنين فضله عليهم، وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع

رسوله، وأنَّ ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعددِهِم ولا بعددِهِم،  
ونبئهم على أن النصر من عنده سواء قلَّ الجمعُ أو كثر.

٣٦٥٠- قَالَ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ  
أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةٌ بِنُ نَفَاثَةِ الْجُدَامِيِّ، فَلَمَّا اتَّقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ  
وَأَلَى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بِغَلَّتِهِ قَبْلَ  
الْكَفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْفُهَا إِرَادَةً  
أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ: «أَبِي عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمْرَةِ» فَقَالَ عَبَّاسٌ- وَكَانَ رَجُلًا  
صَيِّبًا - : فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمْرَةِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ  
لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطَفَةُ الْبَقْرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا:  
يَا لَبَيْكَ يَا لَبَيْكَ، قَالَ: فَافْتَتَلُوا وَالْكَفَّارَ، وَالِدَّعْوَةَ فِي الْأَنْصَارِ  
يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي  
الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ  
عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا حِينِ حَمِي الْوَطِيسِ»  
قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصِيَّاتٍ، فَرَمَى بِهِنَّ وَجُوهَ الْكَفَّارِ، ثُمَّ  
قَالَ: «انْهَزْمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ  
فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى  
حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (١٧٧٥).

قوله: «أهداها له فروة بن نفاثة» فيه قبولُ هدية الكافر. وهذا القبولُ مخصوصٌ بمن طمِع في إسلامه وتأليفه لمصلحةٍ يرجوها للمسلمين، فقد ردَّ صلوات الله عليه هديَّة مَنْ لم يطمع في إسلامه، ولم يكن في قبولها مصلحة، لأن الهدية توجبُ المحبة والمودة.

وأما فرارُ المسلمين، فإنه كان قريباً ولم يحصل من جميعهم بدليل عفتهم السريعة، وإنما فتحه عليهم مَنْ في قلبه مرضٌ من مُسلمةِ أهل مكة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا.

وقوله: «الآن حمي الوطيس» هو مَثَلٌ يضربُ لشدة الحرب. والوطيس: شبه التُّور وهذا غايةُ البلاغة في التشبيه، وهي من الكلمات التي لم يسبق إليها ﷺ.

ومنها: قوله ﷺ: «مات حنط أنفه»، ومنها قوله: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»، ومنها: «يا خيل الله اركبي».

وقوله: كليلاً، أي: ضعيفاً.

وفي الحديث دليلٌ على شجاعته صلوات الله عليه وسلامه، فإن ركوبه البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد الناس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضاً يكون معتمداً يرجع إليه المسلمون، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٦/٣٥٩-٣٦١. وانظر «زاد المعاد» ٤٨٣/٣.

٣٦٥١- عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ، فَقَالَ: أَكُنْتُمْ وَلَيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ مَا وَلَّى، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَاءُ مِنَ النَّاسِ وَحُسْرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاءٌ، فَرَمَوْا بِرَشْقٍ مِنْ نَبْلِ كَانَهَا رَجُلٌ مِنْ جَرَادٍ،

فَانْكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ  
يَقُودُ بِهِ بَعْلَتَهُ، فَتَزَلَّ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ:

«أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»

«اللَّهُمَّ نَزَّلْ نَصْرَكَ».

قَالَ الْبَرَاءُ: كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا  
لَلَّذِي يُحَادِثِي بِهِ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٧٧٦) (٧٩).

والأخفَاءُ: جمع خِفٌّ، يريد: القوم الذين ليس معهم سلاحٌ ينقلهم،  
والْحُسْرُ: جمع حاسِرٍ وهو الذي لا دِرْعَ له، ويقال: الذي لا سلاح له،  
والرَّشْقُ: الرَّمِي، وقوله: رَجُلٌ مِنْ جَرَادٍ، أي: جماعةٌ منها. وفي جواب  
البراء أدبٌ بديعٌ إذ قَصَرَ الْفِرَارَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَى الْمَعْرَكَةِ.

وقوله: إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسَ، أي: اشتدَّ الحرب، استقبلنا العدوَّ برسول الله  
ﷺ، يقال: مَوْتُ أَحْمَرٍ، أي: شديد، وحمراء القَيْطِ شدة حرها، وسنة  
حمراء: أي: شديدة، والعرب تصف عام الجذب بالحمرة، وتقول: إِنَّ آفَاقَ  
السَّمَاءِ تَحْمَرُّ أَعْوَامَ الْقَحْطِ. قوله: نَتَّقِي بِهِ، أي: نجعله واقيةً لنا من العدو،  
وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَكَيْفَ تَقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ [المزمل: ١٧] أي:  
كيف يكون بينكم وبين العذاب واقيةٌ إن جحدتم يوم القيامة.

٣٦٥٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيَّ  
رَسُولِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ  
الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ،  
فَخَطَبَهُمْ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا، فَهَذَا كُمْ اللَّهُ

بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ، فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟» كَلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرٌ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَ: كَلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرٌ، قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْنَا كَذَا وَكَذَا، أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْ لَا الْهَجْرَةُ، لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَاذِيًا أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ وَاذِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِنَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

قوله: «في المؤلفه قلوبهم» هو بَدَلٌ من قوله: «في الناس». والمؤلفه قلوبهم هاهنا: مسلمون دخلوا في الإسلام، ولم يتمكن في قلوبهم، لقوله في رواية أخرى: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم». وقد أطال ابن القيم النفس في التفقه في هذا الحديث في «زاد المعاد» ٤٧٧/٣ وأجاد في الاستنباط.

## بَابُ

### حَجَّةُ الْوَدَاعِ

٣٦٥٣- عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنِي: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَلَدٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا».

أخرجه البخاري (٦٠٤٣).

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْغَازِي: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمْرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ، بِهَذَا. وَقَالَ: «هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ»، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ». وَدَعَا النَّاسَ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ.

علقه البخاري (١٧٤٢)، ووصله ابن ماجه (٣٠٥٨)، وأبو داود (١٩٤٥)، بإسنادٍ صحيح.

٣٦٥٤- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ وَالنَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ، فَحَمِدَ اللَّهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَأُطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ، فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنْ رَبِّكُمْ لَيْسَ عَلَى مَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ - ثَلَاثًا -، إِنَّ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أَعْوَرٌ عَيْنَ الْيَمِينِ، كَانَ عَيْنُهُ عَيْنَهُ طَافِيَةً، إِلَّا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، إِلَّا هَلْ بَلَّغْتُمْ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ - ثَلَاثًا - وَيَلِّكُم أَوْ وَيَحْكُمُ انظُرُوا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٤٠٢)، وأحمد (٦١٨٥) وفيه تمام تخريجه.

قوله: ولا ندري ما حجة الوداع، قال الحافظ في «الفتح» ٧/٧١٠: كأنه شيء ذكره النبي ﷺ فتحدثوا به، وما فهموا أن المراد بالوداع وداع النبي ﷺ،

حتى وقعت وفاته ﷺ بعدها بقليل فعرفوا المراد، وعرفوا أنه ودَّع الناس بالوصية التي أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفَّاراً.

قوله: «إلا أُنذَر أمته» كأنَّ إندارهم تعظيمَ لفتنته وتقريبَ لها، وبيانُ منهم أنَّ وقتها غير معلوم عندهم.

وفي الحديث: تعظيمُ حرمةِ دمِ المؤمن وماله. وأنهما لا يستباحان إلا بحقَّ الله تعالى.

## باب

### في مَرَضِهِ وَوَفَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣٦٥٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَيَبِينَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجَبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَيَبِينَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمْنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أُمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أبا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ إِلَّا خُلَّةَ الْإِسْلَامِ، لَا تَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةٌ أَبِي بَكْرٍ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

والخَوْخَةُ: مُخْتَرَقٌ بَيْنَ بَيْتَيْنِ أَوْ دَارَيْنِ يُنْصَبُ عَلَيْهَا بَابٌ.

قوله: «إِنَّ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ عَلَيَّ» أي: أسمحُ بماله وأجودُ بذات يده، والمنُّ العطاء، وقد يكون المنُّ بمعنى الاعتداد بالصنيعة، وذلك مذمومٌ كما قاله الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] وليس معنى الحديث هذا، إذ لا مِنَّةَ لأحدٍ على رسول الله ﷺ، بل له المِنَّةُ على جميع الأمة. وقوله: «إِلَّا خُلَّةَ الْإِسْلَامِ» أشار إلى أخوة الدين. وفي أمره بترك سدِّ خوخته الاختصاص كما خصَّه بالاستخلاف في الصلاة، وكل ذلك مما يؤكد خلافته رضي الله عنه.

٣٦٥٦- عن يزيد بن أبي حبيب: أَنَّ أَبَا الْخَيْرِ حَدَّثَهُ: أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ كَالْمُودَعِ لِلْأَحْيَاءِ، وَالْأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَنَا فِي مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا» فَقَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

قوله: «فَرَطٌ» أي: سابق متقدم.

وفي الحديث: إثباتُ حوضِ نبينا ﷺ لا حرماناً لله من الورود عليه. ونقل النووي في «شرح مسلم» ٦٧/٨ عن القاضي عياض قال: أحاديثُ الحوضِ صحيحة، والإيمانُ به فرضٌ، والتصديقُ به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يُتَأَوَّلُ ولا يُخْتَلَفُ فيه.

وفي الحديث: الحثُّ على الزهدِ في الدنيا وعدم التنافس فيها. وقد كثر في القرآن الإشارةُ إلى مدحِ الزهدِ فيها وإلى ذمِّ الرغبة فيها، قال تعالى: ﴿بَلْ

تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خيراً وأبقى ﴿ [الأعلى: ١٦-١٧] وقال تعالى: ﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة﴾ [الأنفال: ٦٧] وصحح الترمذي (٢٣٢٠) من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة». وانظر: «جامع العلوم والحكم» ١٧٧/٢.

٣٦٥٧- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ الْآنَ إِلَى حَوْضِي، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

قوله: «صلاته على الميت» أي: دعا لهم بدعاء صلاة الميت.

٣٦٥٨- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَشَفَ السَّتَارَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، فَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ وَرَقَةٌ مُصْحَفٍ، وَالنَّاسُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَشَارَ إِلَى النَّاسِ أَنْ ائْتُوا، وَأَبُو بَكْرٍ يَوْمُهُمْ، فَأَلْقَى السَّجْفَ وَتَوَفَّى مِنْ آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

قوله: «كأنه ورقة مصحف»: عبارة عن الجمال البارع، وحسن البشورة وجمال الوجه واستنارته وزاد البخاري ومسلم: «ثم تبسم» قال النووي في «شرح مسلم» ٣٧٩/٢: وسبب تبسمه ﷺ فرحه بما رأى من اجتماعهم على الصلاة، واتباعهم لإمامهم، وإقامتهم شريعتهم، واتفق كلمتهم. فالواجب على المسلم أن يسعى بجهده لتوحيد صف المؤمنين ويفرح بذلك.

قوله: «السَّجْف» بفتح السين وكسرها: السَّتر. وقيل: السَّتران المقرونان بينهما فُرْجة.

٣٦٥٩- عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمْرَضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، تَخَطَّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَذْرِي مَنْ الرَّجُلُ الْآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، قَالَ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحَلَّلْ أَوْكِتُهُنَّ لِعَلِّيْ أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ» فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَضُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُسِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتَنِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَصَلَّى لَهُمْ وَخَطَبَهُمْ، وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ عَائِشَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ قَالَا: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ حَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ، كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَدِّرُ مَا صَنَعُوا.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٤٢)، وأحمد (٢٤٨٥٨).

الأوكية جمع الوكاء: وهو الخيط. قوله: «لم تُحلل أوكيتهن» لأن الماء الذي لم يُحلل عنه الوكاء يكون أظهر لعدم وصول الأيدي إليه، وخصَّ عدد

السَّعج تبركاً بها، لأنها تقع في كثير من أمور الشريعة، والمخضب: شبه  
المركب وهي إجانة يُغسل فيها الثياب.

والخميسة: ثوبٌ خَزٌّ أو صوف. وقوله: «إذا اغتَمَّ» يعني: أخذه نفسه من  
شدة الحرِّ. وفيه: التحذيرُ من اتخاذ القبور مساجد.

٣٦٦٠- عن عائشة قالت: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
تُوْفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَخْرِي وَنَخْرِي، وَإِنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ  
رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السَّوَاكُ، وَأَنَا  
مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ،  
فَقُلْتُ: أَخْذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَأَشْتَدَّ عَلَيْهِ،  
وَقُلْتُ: أَلَيْتَهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيْتَتْهُ، فَأَمَرَهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ  
رَكْوَةٌ أَوْ عُلبَةٌ - شَكَّ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ،  
فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ  
نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قَبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ.  
هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٤٩)، وأحمد (٢٤٢١٦).

قولها: بين سَخْرِي وَنَخْرِي. النَّخْرُ: ما لَزِقَ بالحلقوم من المريء،  
وَالسَّخْرُ: الرَّئَةُ، يُقال انْتَفَخَ سَخْرُهُ.

وعبد الرحمن هو ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

وعُمَرُ هو ابنُ سعيد بن أبي حسين التَّوْفَلِيُّ المَكِّيُّ أحد رواه الحديث.

قولها: فَأَمَرَهُ بتشديد الراء، أي: أمره على أسنانه فاستاك به.

٣٦٦١- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِيَتِي  
وَدَاقِيَتِي، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ.

هذا حديث صحيح أخرجه أحمد (٢٤٣٥٦)، والبخاري (٤٤٤٦) وغيرهما.  
الحاقنة: المطمئن بين الترقوة والحلق، والذاقنة: نقرة الذقن، ويقال:  
الذقن، ويقال ما يناله الذقن من الصدم، وقال أبو عبيد في «غريب الحديث»  
٣٥٦/٢: الذاقنة: طرف الحلقوم.

وفي الحديث دليل على أن عائشة رضي الله عنها هي آخر الناس عهداً  
برسول الله ﷺ. وقد تتبّع الحافظ في «الفتح» ٧/٧٤٦ جميع الأحاديث التي  
ذكرت أن علياً رضوان الله عليه كان آخر الناس عهداً به، وخلص إلى أنها مما  
لا يحتج به لضعف رواها.

٣٦٦٢- عن عبّاد بن عبد الله بن الزبير أن عائشة أخبرته أنّها  
سمعت رسول الله ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مُسنَدٌ إلى  
صدرها يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحمني بالرفيق الأعلى».  
هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٤٤٠)، ومسلم (٢٤٤٤).

قوله: «الرفيق الأعلى» قيل: هو من أسماء الله سبحانه وتعالى كأنه أراد  
ألحمني بالله، وقال الأزهري: غلط هذا القائل، والرفيق ها هنا: جماعة  
الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين اسم جاء على وزن فعيل، ومعناه الجماعة،  
ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

٣٦٦٣- عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه  
لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير». فلما نزل به  
ورأسه في فخذي، غشي عليه، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى سقف  
البيت، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى» فقلت: إذا لا تختارنا،  
وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا، وهو صحيح، قالت: وكانت  
أخر كلمة تكلم بها: «اللهم الرفيق الأعلى».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٧).

وفي الحديث: ردّ علي من يزعم أنّ النبي ﷺ أوصى إلى عليّ رضوان الله عليه بالخلافة، وأن يوفي ديونَه.

٣٦٦٤- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرُضُ إِلَّا خَيْرَ بَيْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» وَكَانَ فِي شِكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ» فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خَيْرٌ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٥٨٦)، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٦).

و«البُحَّةُ»: غِلْظٌ في الصوت. وقال ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: مَنْ عمل بما أمره الله به ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله عزَّ وجلَّ يسكنه دارَ كرامته ويجعله مرافقاً للأنبياء، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين، وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم.

٣٦٦٥- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَكَرَبْتُ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ أْبِيكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ. فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا التُّرَابَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٦٢)، وأبن ماجه (١٦٣٠).

قوله: ليس على أهلك كَرْبٌ بعد اليوم. يريد: لا يصيبه بعد اليوم نَصَبٌ ولا وَصَبٌ يجد له ألماً إذ أفضى إلى دار الآخرة والسلامة الدائمة.

وقوله: «يتغشاه» أي: الكَرْبُ وشدة المرض. وقد سكت أنسٌ عن جوابها رضوان الله عليها رعايةً لها، ولسانُ حاله يقول: لم تطبْ أنفسنا بذلك، إلّا أنا قهرناها على فعله امتثالاً لأمره. وقد أخرج البزار بسندٍ جيد عن أبي سعيد الخدري قال: «وما نَقَضْنَا أَيْدِيَنَا مِنْ دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا». يريد أنهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته من الألفة والصفاء، لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأديب.

ويستفاد من الحديث جوازُ التوجع للميت عند احتضاره، وأنه ليس من النياحة المنهي عنها.

٣٦٦٦- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، اِخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً مَا نَسِيتُهُ قَالَ: «مَا قَبِضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ» اذْفَنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ.

أخرجه أحمد (٢٧)، والترمذي (١٠١٨)، وهو حديث قوي بطرقه، وتمام تخريجه في «المسند».

وقال عُرْوَةُ: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ودفن في آخر الليل من ليلة الثلاثاء أو مع الصبح، ووليَّ غسله وتكفينه علي والعباس، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، ونزل في قبره علي وأسامة، والفضل.

وقال عِكْرِمَةُ: دُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ.

٣٦٦٧- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا عَنِ الثَّرَابِ وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا.

أخرجه أحمد (١٣٣١٢)، والترمذي (٣٦١٨) وغيرهما بسند صحيح.

وفي رواية: فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء.

وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: ما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوء من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ. أخرجه أحمد (١٢٢٣٤) بسند صحيح.

### بَابُ

### تركة النبي صلى الله عليه وسلم

وقد صنّف فيه الإمام حماد بن إسحاق بن إسماعيل المالكي (٢٦٧هـ) كتاباً نافعاً استوعب فيه تركة النبي ﷺ والسُّبُل التي وجَّهها فيها، وهو مطبوع.

٣٦٦٨- عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ الْخَزَاعِيِّ، أَخِي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَاراً، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أُمَّةً، وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَعَلْتُهُ الْبَيْضَاءَ وَسِلَاحًا وَأَرْضًا تَرَكَهَا صَدَقَةً.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٢٧٣٩)، والنسائي ٢٢٩/٦.

٣٦٦٩- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدًا وَلَا أُمَّةً وَلَا شَاءً وَلَا بَعِيرًا.

٣٦٧٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَتْرُكْ دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيرًا وَلَا أَوْصَى بِشَيْءٍ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٣٥)، والنسائي ٣٤٠/٦ وغيرهما.

وقد دلت الأحاديث على زهده صلوات الله عليه وسلامه، وأنه لم يكن من الدنيا في شيء، وقد صح عنه أنه قال: «مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة، ثم راح وتركها» صححه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن حبان (٦٣٥٢).

٣٦٧١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَاراً، مَا تَرَكَتْ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَوْوَنَةِ عَامِلِي، فَهُوَ صَدَقَةٌ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٠٩٦)، ومسلم (١٧٦٠).

قال سفيان بن عيينة: كان أزواج النبي ﷺ في معنى المعتدات إذ كنَّ لا يجوز لهنَّ أن ينكحن، فجرت لهنَّ التَّفَقُّهُ.

وقوله: «مؤونة عاملي» أراد بالعامل: الخليفة بعده، وكان النبي ﷺ يأخذ نفقة أهله من الصفايا التي كانت له من أموال بني النضير وفدك، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين، ثم وليها أبو بكر، ثم عمر كذلك، فلما صارت إلى عثمان، استغنى عنها بماله، فأقطعها مروان وغيره من أقاربه، فلم تزل في أيديهم حتى ردها عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

٣٦٧٢- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ أَرْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْدَنَ أَنْ يَبْعَثَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَسْأَلُهُ مِيرَاثَهُنَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ لَهِنَّ عَائِشَةُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنَاهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٧٣٠)، ومسلم (١٧٥٨).

والحكمةُ في أنَّ الأنبياء صلوات الله عليهم لا يورثون أنه لا يؤمن في الورثة من يتمنى موته فيهلك، ولئلا يُظنَّ بهم الرغبةُ في الدنيا لوارثه فيهلك الظان، وينفر الناس عنه.

### بابُ

### عُمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣٦٧٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يَعْنِي يُوْحَى إِلَيْهِ، وَتُوْفِّي وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٥١)، والترمذي (٣٦٥٢).

٣٦٧٤- عَنْ جَرِيرٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَخْطُبُ قَالَ: مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٥٢)، والترمذي (٣٦٥٤).

قوله: «وأنا ابن ثلاث وستين» قال النووي في «شرح مسلم» ١٥/١٠٣: هكذا هو في جميع النسخ وهو صحيح وتقديره: وأبو بكر وعمر كذلك، ثم استأنف، فقال: وأنا ابن ثلاث وستين، أي: وأنا متوقع موافقتهم، وأني أموت في سنتي هذه. قلنا: ومات وهو ابن ثمانين سنة على غير ما توقعه رضي الله عنه.

وروى عمارٌ مولى بني هاشم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن خمس وستين قال: أقام بمكة بعد الوحي خمس عشرة سنةً وبالمدينة

عشر سنين. أخرجه مسلم (٢٣٥٣) قال محمد بن إسماعيل: وثلاث وستين أكثر.

### باب

٣٦٧٥- عن همام بن منبه قال: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ لَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مِثْلِ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٦٤). ومعنى الحديث: يأتي على أحدكم يوم لا يراني، لأن يراني فيه لحظة ثم لا يراني بعدها أحب إليه من أهله وماله جميعاً.

ومقصود الحديث: حث الصحابة على ملازمة مجلسه الكريم، ومشاهدته حضراً وسفراً للتأدب بأدابه، لتعلم الشرائع وحفظها ليلغوها. وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فرطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته، ومنه قول عمر رضي الله عنه: ألهاني عنه الصَّفْقُ بالأسواق. أفاده النووي في «شرح مسلم» ١٣٠/٨.

٣٦٧٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَشَدُّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدَهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٨٣٢).